حريتى .. حريتك

(هى الحياة والأمل والسعادة)

سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع

٣٦

حديثي .. حديثك

(هي الحياة والأمل والسعادة)

إعداد

الدكتورة سناء محمد سليمان

أستاذ علم النفس

كلية البنات - جامعة عين شمس

عالم الكتب

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة: آية ٢٥٦]

إهـــداء

أهدى هذا العمل إلى:

- زوجى الفاضل.. وأبنائى.. وأحفادى

أغلى ما لدى فى هذه الدنيا.

ـ الآباء والأبناء.. الشباب والفتيات.. الرجل والمرأة.

ـ القادة والمسئولين فى المؤسسات المختلفة.

ـ من يفتقد الحرية.. ويبحث عنها حوله أو داخله ولا يجدها.

من أجل حريتى.. حريتك..

التى هى الحياة والأمل والسعادة..

المحتويات

ـ مقدمة الإصدار الأول.	١٣
ـ مقدمة.	١٥
ـ مفهوم الحرية.	٢١
ـ ما هى الحرية؟	٢٢
ـ هل نحن أحرار؟	٢٨
ـ القيود على الحرية.. وصيانتها.	٢٩
ـ الحرية وأهم ضوابطها.	٣٢
ـ الحرية الحقيقية.	٣٣
ـ الحرية هبة من الله.	٣٥
ـ الحرية بين المفهوم والممارسة.	٣٦
ـ الحرية والوجود الإنسانى.	٣٨
ـ ماهى الحرية الإنسانية؟.	٣٩
ـ أنواع الحرية الإنسانية:	٤١
• الحرية النفسية.	٤١
• الحرية الاجتماعية.	٤١
• الحرية السياسية.	٤٢
• الحرية الدينية.	٤٣

- الحريات العامة وأنواعها. ٤٧
- الحريات الشخصية. ٤٧
- الحرية النفسية (معناها، خصائصها، شروطها). ٦٠

ـ الحرية.. والعبودية. ٦٥
ـ الحرية.. والمعرفة. ٦٨
ـ الحرية.. والصحافة. ٦٩
ـ الحرية.. والتربية. ٦٩
ـ الحرية.. والشباب. ٧٣
ـ الحرية.. ودور الأسرة فى بناء الشخصية السوية للأبناء. ٧٩
ـ الفتاة.. بين الحرية والرقابة الأسرية. ٨٠
ـ دور الأب والأم فى تعليم أبنائهم مفهوم الحرية. ٨٢
ـ كيف يرى بعض أفراد المجتمع الحرية؟ ٨٣
ـ الحرية.. والمرأة. ٨٤
ـ الحرية بين الآباء والأبناء. ٨٨
ـ مفهوم الحرية بين الآباء والأبناء. ٨٩
منطقة التسامح فى الحرية والحوار بين الآباء والأبناء. ٩٠
ـ الحرية.. ومقومات السعادة داخل الأسرة. ٩٢
ـ كيف يعيش الإنسان حرًا؟ ٩٥
ـ مفهوم الحرية في الأديان عامة والمنهج الإسلامى خاصة. ٩٨
ـ الإسلام.. والحرية. ١٠٣

- هل الحرية تعنى الانطلاق من كل قيد؟ ١٠٥
- ضوابط الحرية. ١٠٦
- جذر الحرية. ١٠٩
- الحرية والتسامح. ١١١
- أهمية الحريات التى منحها الإسلام للإنسان. ١١٣
- الحرية والحقوق العامة للمرأة. ١٢٣
- الرق فى الإسلام. ١٢٨

ـ أقوال ورؤى حول الحرية. ١٣٠

ـ الخاتمة. ١٣٩

ـ قائمة المراجع. ١٤١

ـ الإنتاج العلمى للمؤلفة. ١٥١

سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع
مقدمة الإصدار الأول

تم تعيينى عام (١٩٩٨م) مديرًا لمركز تنمية الإمكانات البشرية ـ بكلية البنات جامعة عين شمس ـ وتمنيت إصدار (سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع) تحت مظلة المركز فى ذلك الوقت.. بهدف تقديم بعض الموضوعات الخاصة بالأسرة والمشكلات السلوكية للأبناء بطريقة علمية مبسطة ومفيدة تساعد على تنمية وعى الوالدين والأبناء، وعلاج بعض المشكلات أو الوقاية منها لفئات المجتمع المختلفة.

وقمت بعرض الفكرة على الزملاء بقسم علم النفس واستحسنوا الفكرة.. إلا أنها لم تبدأ فى ذلك الوقت.. ودارت عجلة الحياة بمشاغلها ومسئولياتها الكبيرة.

وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى عام (٢٠٠٢م) للعمل بكلية التربية والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ـ سابقًا ـ جامعة طيبة حاليًّا ـ وعشت بكل مشاعرى فى هذه المدينة المقدسة مدينة رسول الله ﷺ وبدأت أشعر برغبة شديدة نحو مسئوليتى أمام الله سبحانه وتعالى فى تقديم ثقافة سيكولوجية للجميع؛ عسى أن يستفيد الوالدان والأبناء والمربون والجميع من تلك الثقافة، وأن ينتفع بها المنفعة القصوى.

وهذا هو الإصدار السادس والثلاثون من هذه السلسلة تحت عنوان: حريتى.. حريتك (هى الحياة والأمل والسعادة).

وأدعو الله أن ييسر لى استكمال تلك السلسلة.

وأن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى.

والله ولى التوفيق.

أ.د. سناء محمد سليمان

٢٠١٤ م

حريتى.. حريتك

(هى الحياة والأمل والسعادة)

المقدمة:

يكثر ذكر الحرية فى هذا العصر أكثر من أى عصر مضى والكل يتحدث عن الحرية منظورًا إليها من حيث اهتمامات كل متحدث ومصالحة.

فتجد من يتحدث عن الحرية السياسية وعن حرية الضمير وحرية الشعوب وحرية المرأة وعن الحرية الاقتصادية، والحرية الجامعية، على آخر أنواع وألوان الحريات.

وقد جعل الإسلام «الحرية» حقًا من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، وحيث يفقد المرء حريته يموت داخليًا، وإن كان فى الظاهر يعيش ويأكل ويشرب، ويسعى فى الأرض، ولقد بلغ من تعظيم الإسلام لشأن «الحرية» أن جعل السبيل على إدراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، الذى لا ينتظر الإيمان بوجوده بتأثير قوى خارجية، كالخوارق والمعجزات ونحوها قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٦] فنفى الإكراه فى الدين الذى هو أعز شىء يملكه الإنسان للدلالة على نفيه فيما سواه، وأن الإنسان مستقل بما يملكه ويقدر عليه ولا يفرض عليه أحد سيطرته؛ بل يأتى هذه الأمور راضيًا غير مجبر مختارًا غير مكره.

ومنذ القدم والإنسان يحارب ويناضل ويدفع الغالى والنفيس فى سبيل الحرية وفى أحيان كثيرة يدفع حياته ثمنًا لها.

ويروى لنا التاريخ صورًا مشرقة ونماذج رائعة جاهدت حتى الموت لتحصل على حريتها... ففى الماضى القديم كان سيدنا بلال عبدًا أسيرًا ينال صنوفًا من العذاب كى يكفر وكى يظل عبدًا للأحجار؛ ولكن نور الإسلام سرى فى قلبه واختار عبادة الله وأن يكون حرًا فى اعتقاده فتحمل العذاب الأليم، وسيدنا سليمان الفارسى ذلك الأسطورة الذى كان سيدًا مُطاعًا فى وطنه، هاجر وأصبح عبدًا ليهودى فلم يهتم لذلك فقد سطر لحياته توجهًا عظيمًا فهو يبحث عن الحق وعن الحرية التى ستغير من مسار التاريخ، فلم يهتم بعبوديته لدى اليهودى، وتوالت الأزمان والأحداث وأصبحت الحرية هى هم كل الشعوب بمختلف أجناسهم ودياناتهم وقامت المسيرات والثورات والحروب وسالت الدماء فى كل مكان من أجل الحرية وأصبحت كلمة الحرية تعنى الحياة والأمل والسعادة.

حقًا إن الحرية لها معنى لا يدركها إلا الذى قد حرم منها، ويردد البعض عبارة مفادها: "إذا وجدت شخصًا نائمًا فلا توقظه ربما يحلم بالحرية"، ويقول شخص آخر "بل يمكن أن نوقظه ليطالب بالحرية" فالحرية ليست معناها التحرر من كل شىء وإلا انقلبت إلى فوضى، والحرية ليست تحرر الشعب من ذل الاستعمار فقد يتعدى معناها إلى حرية الإنسان من الخوف الداخلى الذى عشش فى خيالاته، أو الأسر الذى حبس نفسه بداخله فالحرية مشاركة وتعبير وانطلاقه وبساطه، وحق كفله الإسلام فى الحياة ومنها الحق فى التعليم وممارسة أنشطته، وتعدد الاختيارات وإبداء الرأى وغير ذلك.

والحرية (Freedom) فى علم النفس هي "تحرر من (Freedom from)" القيود والخوف وأن يصدر سلوك المرء دون تأثير عليه من خارجه، وهي "حرية لأن (Freedom to) يفعل الفرد الحر ما يريد، وأن يختار لنفسه ويفكر بوحى من نفسه.

وحرية الإرادة (Free will) تقابلها الحتمية أو الجبرية (Detdrminism) وهى القول بأن الحرية مقيدة، وأن السلوك تحكمه الضوابط والظروف، وأن الإنسان محكوم من داخله وخارجه، وأن لسلوكه محددات فى إمكانيات الفرد وقدراته وميوله واتجاهاته، وفى انتماءاته الطبقية والثقافية، وتكوينه الجسمى وسماته أو خصائصه النفسية والعقلية، وبيئته الطبيعية والاجتماعية ويذهب أنصار الحرية إلى أن للحرية سيكولوجية، وأن الظروف النفسية والاجتماعية والمادية ليست عبئًا على الحرية ولا تحددها، وأن هناك باستمرار اختيارات وبدائل على المرء أن يفاضل بينها.

والحرية هى الشرط الأساسى لكل موجود فاعل، وليست لها ماهية لأن وجودها يسبق الماهية ويحددها، فالحرية تصير بالأفعال. وهى ليست صفة مضافة أو خاصية من خصائص طبيعة الفرد وإنما هى نسيج وجود كل إنسان.

وإذا كان الإنسان مقدورًا فهو مقدور بالحرية، ولا مناص من أن يكون حرًا ولا فكاك له من الحرية.

وقد يقال هذا حر وذاك عبد تلك مغالطة فى التعبير عن الواقع، إلا أن الإنسان دائمًا هو الإنسان الحر، لأن الحرية هى وجود الإنسان وليست أى وجود آخر.

وقد قال (مصطفى لطفى المنفلوطى):

«الحرية شمس يجب أن تشرق فى كل نفس فمن عاش محرومًا منها عاش فى ظلمة حالكة يتصل أولها بظلمة الرحم وأخرها بظلمه القبر».

والحرية ليست علم يدرس أو مهارة تكتسب إنها نزعة وحاجة إنسانية هى كالطعام والشراب، فأنت لكى تعيش لا بد ان تأكل وتشرب، وكذلك لا بد أن تكون حرًا لكى تعيش إنسانًا لا حيوانًا تقاد حيث يشاء الآخرون، وكما أنك تبحث عن الطعام والشراب وتسعى لتوفيره، فالحرية كذلك يجب أن تبحث عنها وتسعى لتحصيلها.

وفى النهاية، فإن الحرية ليست حكرًا على فئة معينة؛ بل هى لكافة الناس، الكل من حقه أن يعيش حرًا. لقد ولدنا أحرارًا فلماذا نستعبد بعضنا البعض.

وتحكى قصة آدم وحواء فى الجنة أن آدم عصى ربه فحكم الله عليهما بالهبوط إلى الأرض وأن يعانيا الخوف والعداء ومعنى أن آدم وحواء اختارا أن يأكلا من (شجرة المعرفة) أنهما قاما بأول فعل حر.

وإن الإنسان فى وجوده كان غريزيًّا ولكنه انفك عن قيود الغريزة وتصرف بحرية واختار سلوكه وارتقى فى مدارج الاستقلال وأصبح له هوية وفردية.

ولأهمية الموضوع أقدم هذا الإصدار من (سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع) تحت عنوان حريتى.. حريتك ـ والذى يتعرض لقضية من أهم القضايا التى يكثر الحديث والنقاش حولها من قديم الزمان وحتى الآن من قبل المتخصصين والعلماء والمفكرين والأدباء، وأيضًا من قبل غير المتخصصين وغير المثقفين من جميع الفئات.

وسوف نستعرض خلال هذا الإصدار مفهوم الحرية، والقيود على الحرية؛ وأهم ضوابطها، الحرية الحقيقية، والحرية والوجود الإنسانى، أنواع الحرية، الحرية وبعض الموضوعات (العبودية، المعرفة، الصحافة، التربية، الشباب، والحرية والأسرة، الحرية والمرأة، الحرية بين الآباء والأبناء، الحرية ومقومات السعادة داخل الأسرة، وكيف يعيش الإنسان حرًا، الإسلام والحرية، أقوال ورؤى حول الحرية... إلى جانب بعض الموضوعات الهامة التى تتعلق بهذا الموضوع... وذلك من أجل تنمية وعى الشباب والآباء والقادة والجميع بموضوع الحرية حيث أن الحرية هى الحياة والأمل والسعادة.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى العرض وأن ينتفع بـه المنفعـة المرجوة، وأن يساعد هذا الإصدار فى أن نرتقى بأنفسنا ونشعر بحريتنا الحقيقـة فى جميع جوانب حياتنا ونحقق أهدافنا فى الحياة ونحن نتمتع بصحة جسمية وصـحة نفسية جيدة.

مفهوم الحرية

الحرية هى مسئولية فكر وإرادة وهى المقوم الأساسى لجوهر الإنسان وكرامته وذلك لأنه حتى يكون الإنسان حرًا لا بد أن يقوم بعمل ويؤديه مثل أداء التاجر الماهر العارف بأسرار مهنته وهو حر ويكون فى وسعة أن يسيطر على ظروف مهنته. وحرية الطبيب هى أن يعرف أين يكون شفاء مريض وما هو دوائه، وحرية القاضى هى أن يعرف مسالك القانون ليعرف أين يقع منها من قدموه إليه ليحاكمه. وهكذا يكون معنى الحرية فى كل ميدان من ميادين العمل.

والإنسان الحر يعرف كيف يتصرف تصرفًا مؤديًا به إلى تحقيق غايته، وغير الحر لا يعرف أنه يقف أمام وقائع الحياة العملية فى ذهول التائه الذى ضل الطريق. والحرية بمعناها الإيجابى مرهونة بقدرة الشخص على معالجة موضوعه بحيث ينتهى به إلى غاية يريد تحقيقها.

كما أن روح العصر الذى يعيش فيه تقتضى أن يكون معظم الفكر ومعظم العمل منصبًا على أشياء، والقليل من ذلك الفكر أو العمل هو الذى تتجه به إلى كلمات، إلا أن تكون تلك الكلمات وثيقة الصلة بمواقف عينية فيها مواجهة الأشياء فيقتضى الأمر أن تكون على معرفة علمية دقيقة بطبائع تلك الأشياء، فشعورنا بالحرية عندما نحاول قهر الصحراء حتى تتخضر بالزرع يحتاج جهدًا حسب شعورنا بالحرية، حيث نبذل الجهد فى حفظ صفحة من صفحات حياتنا بها إنجازات ومفتاحًا نتغلب به على الأشياء الصعبة ونسخرها لصالحنا وصالح البشرية.

ما هى الحرية؟

الحرية فى اللاتينية ـ Libertas وفى الفرنسية ـ Liberte وفى الإنجليزية ـ Liberty أو Freedom.

الحر ضد العبد، والحر فى اللغة العربية يعنى الكريم، والخالص من الشوائب، والحر من الأشياء أفضلها، ومن القول أو الفعل أحسنه، وتقول حرر العبد أى خلصه من الرق...

فالحرية هى الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم، فإذا أطلقت على الخلوص من الشوائب، دلت على صفة مادية، يقال:

ذهب حر لانحاس فيه، وإذا أطلقت على الخلوص من الرق، دلت على صفة اجتماعية: رجل حر أى طليق من كل قيد سياسى أو اجتماعى، وإذا أطلقت على الخلوص من اللؤم دلت على صفة نفسية، تقول رجل حر كريم لا نقيصة فيه.

وعلى هذا الأساس للحرية عدة معان هى:

١- المعنى العام: الحرية خاصة الموجود، الخالص من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته، من قبيل ذلك قولهم تظهر حرية الجسم الساقط فى هبوطه إلى مركز الأرض، وفقًا لطبيعته بسرعة متناسبة مع الزمان، إلا إذا صادف فى طريقه عائقًا يمنع سقوطه.

وكذلك الحياة النباتية أو الحيوانية إذا لم يعقها عن القيام بعملها الطبيعى مانع خارجى، قيل إنها حرة، وإذا أطلق هذا المعنى على أفعال الإنسان، دل على الحرية المادية، يقال ليس للمريض والسجين حرية، لأنهما لا يستطيعان أن يفعلا ما يريدان.

٢- المعنى السياسى والاجتماعى: الحرية بهذا المعنى قسمان:

أ ـ الحرية النسبية: هى الخلوص من القسر، والإكراه الاجتماعى، والحر هو

الذى يأتمر بما أمر به القانون، ويمتنع عما نهى عنه، إن حرية الإعراب عن الفكر وعن الرأى هى أثمن حقوق الإنسان، ولكل مواطن الحق فى حرية الكلام، والكتابة والنشر، على أن يكون مسئولًا عن عمله فى الحدود التى يعينها القانون، كما ينبغى الاعتراف بحقوق الغير، واحترام حرياته، وتحقيق ما يقتضيه النظام العام من شروط عادلة وموضوعية والحريات السياسية هى الحقوق المعترف بها فى معظم الدول، كحرية الفكر والرأى، والضمير، والدين، والتعبير، وحرية الاشتراك فى الجمعيات، وحرية الإلهام فى إدارة شئون الدولة مباشرة، أو بواسطة ممثلين يختارهم المواطنون اختيارًا حرًا.

ب ـ أما الحرية المطلقة فهى حق الفرد فى الاستقلال عن الجماعة، التى انخرط فى سلكها، وليس المقصود بذلك الاستقلال الكلى بل الإقرار بهذا الاستقلال، واستحسانه، وتقديره، واعتباره قيمة خلقية مطلقة، وقد تم التمييز بين الحرية المدنية والحرية السياسية: فالأولى هى عبارة عن استمتاع الأفراد بحقوقهم المدنية فى ظل القانون، والثانية عبارة عن استمتاع الأفراد بحقوقهم السياسية واشتراكهم فى إدارة شئون بلادهم مباشرة أو بواسطة ممثليهم.

المعنى النفسى والخلقى للحرية:

أ ـ إذا كانت الحرية ضد الاندفاع اللاشعورى، أو الجنون، واللامسئولية القانونية والخلقية، فإنها تدل على حالة شخص لا يقدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيرًا أم شرًا، فهو يعرف ما يريد، ولا يفعل شيئًا إلا وهو عالم بأسبابه، لذلك قيل: إن الحرية هى علية النفس العاقلة، ومعنى ذلك إن الفاعل الحر هو الذى يقيد نفسه بعقله وإرادته، ويعرف كيف يستعمل ما لديه من طاقة، وكيف يتنبأ بالنتائج، وكيف يقارنها بعضها ببعض، أو يحكم عليها، فحريته مجردة من كل قيد، ولا هى غير متناهية، بل هى تابعة للشروط متغيرة نوجب تحديدها وتخصيصها، ويطلق على هذه الحرية اسم الحرية الأدبية أو الخلقية.

ب ـ وإذا كانت الحرية ضد الهوى والغريزة والجهد، والبواعث العرضية، فإنها تدل على حالة إنسان يحقق بفعله ذاته من جهة ما هى عاقلة وفاضلة، فالحرية بهذا المعنى حالة مثالية، لا يتصف بها إلا من جعل أفعاله صادرة عما فى طبيعته من معان سامية، فى هذا المجال قال ليبنيتز: (إن الله وحده هو الحر الكامل، أما المخلوقات العاقلة فلا توصف بالحرية إلا على قدر خلوصها من الهوى).

جـ ـ إذا كانت الحرية ضد الحتمية فإنها تدل على حرية الاختيار، أى أن فعل الإنسان يتولد من إرادته، فى هذا الخصوص قال بوسيه:

(كلما بحثت فى أعماق نفسى عن السبب الذى يدفعنى إلى الفعل لم أجد فيها غير إرادتى)، فالإرادة إذن علة أولى وابتداء مطلق، وهى خالصة من كل قيد، لأنها لا توجب أن يكون الفعل مستقلًا عن الأسباب الخارجية فحسب، بل توجب أن يكون مستقلًا عن الدوافع والبواعث الداخلية أيضًا.

د ـ كما يطلق على الحرية أيضًا القوة التى تظهر ما فى صميم الذات الإنسانية من صفات مفردة، أو الطاقة التى بواسطتها يحقق الإنسان فى كل ما يفعله فيشعر بحريته مباشرة.

ـ ومفهوم الحرية من أغنى المفهومات الشخصية الفلسفية وتعرف بأنها:

تلك الملكة الخاصة التى تميز الكائن الناطق من حيث هو موجود عاقل يصدر أفعاله عن إرادته هو لا غير أى إرادة أخرى غريبة عنه.

والإنسان الحر بهذا المعنى هو من لم يكن عبدًا أو أسيرًا.

ـ وهى أيضًا الفعل عن رؤية مع استطاعة عدم اختياره أو استطاعة اختيار ضده ولكن من الممكن أن نميز بصفة عامة بين نوعين من الحرية:

١ – حرية التنفيذ. ٢ – حرية التصميم.

ـ والمقصود بحرية التنفيذ: تلك المقدرة على العمل أو على الامتناع عن العمل دون الخضوع لأى ضغط خارجى.

ـ أما حرية التصميم: عبارة عن ملكة الاختيار أى القدرة على تحقيق الفعل دون الخضوع لتأثير قوى باطنه سواء أكانت تلك القوى ذات طابع عقلى كالبواعث والمبررات أم ذات طابع وجدانى كالدافع والأهواء.

ـ وهناك أربع تعريفات مختلفة لخصها بعض العلماء وهى:

أولًا: حرية الاختيار القائمة على الإرادة المطلقة وهو أن نتصور أنفسنا أحرار لأننا نعلم أن فى وسعنا أن نعمل بمقتضى إرادتنا.

ثانيًا: الحرية الأخلاقية أو حرية الاستقلال الذاتى:

هذا النوع من الحرية هو ذلك الذى فيه نقسم ونعمل بعد تدبر ورؤية بحيث تجىء أفعالنا وليدة معرفة وتأمل.

ـ فنحن لا نشعر بأننا أحرار حينما نعمل بمقتضى أول دافع يخطر لنا على البال وحينما نتصرف كموجودات غير مسئولة بل نحن نريدة حينما نعمل وفقًا لمبادئ أخلاقية يقرها عقلنا وتتقبلها إرادتنا.

ثالثًا: حرية الحكيم أو حرية الكمال:

ـ هذا النوع وثيق الصلة بالنوع الأخر ولكنه ذو طابع معيارى مثالى يجعله أكثر منه سموا أو شرفًا وحرية الكمال هى الصفة التى تميز ذلك الحكيم الذى استطاع أن يتحرر من كل شىء ومن الكراهية.

رابعًا: الحرية السيكولوجية:

ـ هذا النوع من الحرية هو عبارة عن الشعور الداخلى بحيوية واستمرار نفسى معين وقدرة الفعل الروحى التلقائى الذى يعبر عن شخصيتنا.

وهى حالة التحرر من القيود التى تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودًا مادية أو قيودًا معنوية، فهى تشمل التخلص من العبودية لشخص أو جماعة، والتخلص من الضغوط المفروضة على شخص ما لتنفيذ غرض ما أو التخلص من الإجبار والفرض.

وهى إمكانية الفرد بدون أى جبر أو ضغط خارجى على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة.

ـ وهناك بعض التعريفات للحرية الشخصية.. من خلال الشريعة والقانون الوضعى وبعض الفقهاء ـ منها ما يلى:

١ - تعرفها الدكتورة «سعاد الشرقاوى» بأنها:

(حق الفرد فى أن ينفرد وأن يكون له مكان ينسحب فيه من المجتمع دون أن يكون للآخرين سواء أكانوا أفرادًا أم سلطة عامة أن يقتحموه، وتتضمن حق الفرد فى أن يتميز عن غيره وأن ينصرف عن الأمور التى لا تعنيه).

٢ - كما عرفت الحرية الشخصية بأنها:

(تشمل الحرية البدنية للفرد أى قدرته على التنقل بين الأماكن المختلفة وإقامته فى المكان الذى يحلو له وترك هذا المكان عندما يريد، كما تشمل حماية شخصية من المساس به عن طريق القبض أو الاعتقال أو الحبس، كما تشمل احترام حرمة المسكن والمراسلات والمكالمات التليفونية).

٣- وهناك تعريف آخر «للدكتور محمد كامل ليلة»:

(هى حق الفرد فى الذهاب والإياب والانتقال داخل البلاد وخارجها، وعلى أن يكون قادرًا على التصرف فى شئون نفسه وفى كل ما يتعلق بذاته على ألا يكون فى تصرفه عدوانًا على غيره، أمنًا من الاعتداء على نفسه أو ما له أو عرضه، ضامنًا

عدم القبض عليه أو توقيفه أو معاقبته إلا بمقتضى القانون وفى الحدود التى يقررها بعيدًا عن الإرهاب والاضطهاد والتعذيب).

٤- وتعريف آخر للدكتور «عثمان خليل عثمان»:

(الحرية التى تفيد فوق تخلص الفرد من كل استرقاق وارتفاق وتمتعه بحريته الجسمانية فى التنقل داخل الدولة والخروج منها وعدم جواز القبض عليه أو معاقبته إلا بمقتضى القانون وفى الحدود التى يقررها هذا القانون).

٥- وعرفوها أيضًا بأنها:

(شعور الإنسان بكرامته وبوجوده كإنسان فلا يسترقه أحد ولا يقبض عليه أو تقيد حركته إلا فى الحالات التى بينها القانون، كما أن له أن يتنقل داخل بلاده وخارجها دون قيود، وأن يأمن على نفسه وماله وعرضه، فلا يعتدى عليه بتعذيب ولا تمتهن مشاعره).

٦- تعريف «القانون الدولى الخاص المصرى»:

بأنها: (حرية الفرد فى الرواح والمجىء وحماية شخصه من أى اعتداء وعدم جواز القبض عليه أو معاقبته أو حبسه إلا بمقتضى القانون، وحريته فى التنقل والخروج من الدولة وإليها).

٧- تعريف للدكتور: «محمد زكى أبو عامر».

عرفها بأنها: (مركز يتمتع به الفرد ويمكن له بمقتضاه اقتضاء منع السلطة من التعرض لبعض نواحى نشاطاتها الأساسية أو الأصلية التى تتوقف حياته اليومية على تأمينها).

٨- تعريف الأستاذ «عبد الوهاب خلاف»:

(أن يكون الشخص قادرًا على التصرف فى شئون نفسه وفى كل ما يتعلق

بذاته، آمنًا من الاعتداء عليه فى نفس أو عرض أو مـال أو مـأوى أو أى حـق مـن حقوقه، على ألا يكون تصرفه عدوانًا على غيره).

٩- تعريف الأستاذ «محمد أبو زهرة»:

(حرية الشخص فى أن يعتقد ما يراه حقًا، وأن يتصرف فى دائـرة شخـصه بـما يعود عليه بالخير فى نظره من غير تدخل من أحد، ولا تحكم ذى سلطان فى إرادته. وأن يكون له الحق فى إبداء رأيه فى كل ما يتصل بالمجتمع الذى يعيش فيه).

هل نحن أحرار؟

إذا كنا فعلًا أحرار فما هى مساحة حريتنا وما حدودها؟ الحقيقة إننـا ولـدنا فى هذا العالم دون علم منا، فوجودنا فى العالم ثمرة لحرية الآخرين واختيارهم، لكـن تلك الحرية وذلك الاختيار، ينتهيان لحظة بدء حدود تخليقنا، لذا لم نكن أحرارًا فى خلقنا، ولا فى اختيار نوع وشكل خلقتنا، ولا فى سنوات مـا قبـل نـضج ملكاتنـا العقلية والإرادية. فولادتنا وموتنا من الناحية الطبيعية أمران خارجان عن إرادتنـا الإنسانية، وبالتالى لسنا أحرارًا فى حدوثهما، والسؤال: ما مساحة وحدود حريتنا؟

يبدأ شعورنا بالحرية منذ اللحظة التى نقدر فيها على الاختيار بين ما نريد ومـا لا نريد، فامتلاكنـا القـدرة عـلى الاختيـار بـالقبول أو الـرفض، يؤكـد امتلاكنـا للحرية. ولكن هل امتلاكنـا للحريـة يعنـى أننـا أحـرارًا فى تقريـر شـئون الحيـاة المختلفة؟ تدل التجربة أننا نمتلك قدرًا محدودًا من الحرية، يسمح لنا القيام بأفعال محدودة، تبعًا لقدراتنا وللقيود والشروط الموضـوعية مـن حولنـا، ممـا يعنـى أننـا مخيرون بمقـدار ومـسيرون بمقـدار؟ مخـيرون فى الأمـور التـى تخـضع لإرادتنـا، ومسيرون إزاء تلك التى لا تخضع لها. من هنا يفسر رغبة الإنسان إلى امتلاك قـدر أكبر من الحرية المتاحة له، قدرًا يلبى سعيه الشديد نحوها.

القيود على الحرية.. وصيانتها:

توجد فى معظم البلدان مؤسسات لحماية الأفراد وصيانة الحقوق. وتتكفل دساتير الدولة وقوانينها بتحديد حقوق الفرد وواجباته، ويقرر العديد من علماء الاجتماع الغربيين أمثال جان جاك روسو وجان لوك ومونتسكيو أن العلاقة بين أبناء الشعب والدولة هى علاقة تعاقدية، وهذا ما يسود الآن فى المجتمعات الغربية. ومن الإقرار بأهمية العلاقة التعاقدية بين الفرد والدولة، فإن هناك أشكالًا أخرى لضمان وجود علاقة متوازنة ومتكافئة بين الحاكم والمحكوم غير تلك التى نصت عليها الدساتير الغربية؛ فقد ضمنت الأديان والكتب السماوية حقوق الفرد، وأشارت إلى مبدأ الثواب والعقاب.

الحقوق:

تشير الدساتير الغربية التى تعهد حكومات تلك الدول بحقوق معينة لمواطنيها، وتسمى تلك بالحقوق المدنية، وتختلف تلك الحقوق من بلد إلى آخر. ومن تلك الحقوق حق المتهم فى أن ينال محاكمة عادلة دون تعطيل لا مبرر له، وحق الفرد فى التنقل داخل حدود وطنه.

قيود الحرية:

تشكل قوانين أى مجتمع منظم مجموعة معقدة من الحريات والقيود المتوازنة، وينظر بعض الناس إلى القوانين على أنها عدو طبيعى للحرية، ويعتقد بعض الفوضويون أن كل النظم الحكومية تلغى الحرية. على أن أغلب الناس يعتقدون أن القانون يقيد ويحمى حرية الفرد فى آن واحد. فمثلًا، يمنع القانون من التعدى على الآخرين، لكنه يضمن أيضًا للناس بأنهم لن يُتعدّى عليهم.

أسباب القيود على الحرية:

قد يكون السبب الرئيسى لتقييد الحرية كف الضرر عن الآخرين، ومن أجل تحقيق حرية متساوية لكل واحد، قد تضطر الحكومة لتقييد حرية أفراد أو مجموعات محددة من التصرف بطرق معينة، ومن أمثلة ذلك القوانين المانعة من التفرقة العنصرية فى التوظيف، وقد يقيد المجتمع الحرية الفردية من أجل الحفاظ على النظام، وسير الأمور بيسر؛ فعندما يتعذر على سيارتين عبور ملتقى طريق فى الوقت نفسه، دون اصطدام، فإن النظم تحدد أيتهما يجب أن تمر أولًا.

كذلك ينبغى على كل فرد القيام بواجبات ومسئوليات معينة للحفاظ على المجتمع وحمايته، ومن أمثلة ذلك أن من واجب المواطن أن يدفع ضرائب، وأن يلبى النداء إذا استدعى لمهمة، وهكذا فكرة الحرية الشخصية دائمًا مصحوبة بقدر من الواجب نحو المجتمع.

القيود على الحرية الاجتماعية:

تمنع القيود على الحرية الاجتماعية الناس من استخدام حرياتهم بطرق قد تكون ضارة بصحة الآخرين، أو سلامتهم أو رفاهيتهم. فمثلًا، لا يشمل حق الكلام حق الصياح كأن يصيح شخص مثلًا قائلًا: حريق فى مسرح مزدحم إذا لم يشب حريق بالفعل. وحرية التعبير، وحرية الصحافة لا تتيحان لشخص إطلاق الأكاذيب الضارة بسمعة طرف آخر. وتسمى مثل هذه التصريحات قذفًا إذا صدرت لفظًا، وتشهيرًا إذا صدرت كتابة.

كما تمنع القوانين فى الدول المتحضرة، عادة، الخطب والمطبوعات التى تعرض سلام وأمن البلاد للخطر، ويحرم القانون الكتابة التى تدعو الناس إلى الشغب والفتنة، بالإضافة إلى ذلك، فإن كثيرًا من الحكومات تضع قيودًا خاصة من أجل

حماية الآداب العامة، ولدى كثير من البلاد قوانين مناهضة للإباحية ـ (الصور والكتابة الفاحشة).

القيود على الحريات الاقتصادية:

كانت أغلبية الحكومات فى الماضى تضع قليلًا من القيود على الحرية الاقتصادية، وتتبع سياسة عدم التدخل فى الشئون الاقتصادية. إلى أنه منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي؛ أدى نمو الرأسمالية الضخم إلى تركيز الثروة فى أيدي عدد قليل نسبيًّا من الناس وقد أدخل هذا التطور فى اعتقاد الكثير من الناس أن من واجب الحكومة التدخل لحماية المجموعات الفقيرة، ولمراعاة المساواة فى الأغراض التجارية الكبرى والدوائر الاقتصادية القوية. وفى الوقت الحاضر، تنظم القوانين، فى كثير من البلاد، الأجور وساعات العمل، وتحرم تشغيل الأطفال وتتكفل بضمانات ضد البطالة. ويرى كثير من الناس أن هذه القوانين إنما تحمى الحرية الاقتصادية ولا تنتهكها.

والحرية الاقتصادية مقيدة، أيضًا عندما تتعارض مع حقوق الآخرين، فمثلًا، لا حرية لأحد فى أن يغش الآخرين. وحق أصحاب الفنادق فى أن يفعلوا ما يشاءون بملكيتهم ولا يبيح لهم رفض إعطاء غرفة لشخص ينتمى لعرق أو دين معين، وحرية أصحاب المصانع فى إدارة مصانعهم لا تبيح لهم إلقاء النفايات الصناعية والمخلفات فى مياه يشربه الناس.

ولعل نقطة التحول الهامة التى لفتت نظر العالم إلى تلك الحقوق والحريات فى عصرنا الحاضر هى صدور الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م بما تضمنه من قرار هام من الحقوق الأساسية للإنسان، وذلك بالرغم من أن القرآن الكريم ـ قد أورد جميع تلك الحقوق ضمن آياته الكريمة قبل صدور الإعلان العالمى بأربعة عشر قرنًا، بل وأورد أنواعًا من الحقوق لم

يفطن إليها مشرعوا الإعلان العالمى. حقيقة أن رد فعل الإعلان العالمى لم يظهر أثره فى أعقاب صدور الإعلان مباشرة، بل احتاج الأمر إلى مرور سنوات عديدة بعد ذلك حتى ينعكس الإعلان على دساتير الدول المختلفة، وبدأت الدولة تتنبه تدريجيًّا إلى ضرورة تضمين دساتيرها نصوص تضمن حماية الحقوق والحريات الأساسية الواردة إليها من الخارج، أو على أيدى الحاكم فى الداخل.

الحرية وأهم ضوابطها:

فى نطاق الحرية المنضبطة توجد أنواع من الحرية ـ كما ذكرنا سلفًا ـ منها الحرية الشخصية، وحرية الإرادة، وحرية الفكر، وحرية إبداء الرأى، وحرية الاجتماع، وحرية العقيدة، والحرية السياسية.

فالإنسان من حقه أن يفكر بحرية كما يشاء؛ ولكن بضوابط فليس من حريته أن يسرح فى أفكار ظالمة، أو أفكار غير مقبولة، وإن كانت قوانين الدولة لا تردعه من جهة هذا الفكر، فإن الضمير يوبخه، ويأمره أن يضبط فكره حتى لا يضر نفسه.. ثم هل فى حريته أن يعتنق فكرًا هدامًا؟! وأن يختار بحريته هذا الفكر، فليس من حقه أن ينشره وإلا فإنه يؤذى المجتمع الذى يعيش فيه وهنا من حق الدولة أن تضبط الأفكار الهدامة التى تبلبل أذهان الناس وتقود تصرفاتهم فى اتجاه ضار.

ـ والإنسان له حرية العقيدة من جهة الدين والتدين وما يتبع ذلك من حرية العبادة.

وقد تمادى البعض فى هذه الحرية حتى وصلوا فى بعض البلاد على الإلحاد كما وصلوا إلى كثير من الانحرافات العقيدية وإلى تشويش أذهان الآخرين، ونشر الشكوك فى الثوابت من الأمور الإيمانية وتجرأ بعضهم فى بلاد الغرب إلى مطالبتهم بعدم تدريس الدين، لأنه لا يوافق معتقداتهم. كذلك وصل بهم الأمر

إلى الشذوذ الجنسى والمطالبة باعتماد قانون من الدولة للاعتراف بهم وإعطائهم الحرية لممارسة هذا الشذوذ، وبعض الدول سمحت لهم بهذا كما فى كندا، كما ضغطوا على بعض الهيئات الدينية لاعتماد الشذوذ وطالبوا لأنفسهم بحقوق كشواذ.

أما عن الحرية السياسية فللإنسان الحق فى اختيار النهج السياسى الذى يوافقه، والحزب السياسى الذى يستريح لمبادئه، كما أن حق الانتخاب وحق الترشيح فى حدود القانون. ولكن الحرية السياسية ينبغى أن تكون منضبطة أيضًا فلا ينضم أحد إلى نهج سياسى مدمر، ولا ينضم إلى حزب متمرد على النظام يثير الشقاق ويدعو إلى التخريب وإلى محاولة قلب نظام الحكم أو إثارة الاضطراب فى المجتمع.

الحرية الحقيقية:

- يجب أن تميز بين الحرية كموضوع خارجى وبين الحرية الداخلية أى حرية النفس الحقيقية فالإنسان قد يكون حرًا من سيطرة أى إنسان آخر، وقد يكون حرًا فى علاقته الاجتماعية ولا يكون محتكر بسبب لونه أو جنسه أو دينه، وبرغم كل ذلك وبرغم هذه الحرية الخارجية الكاملة قد يكون الإنسان فى أقصى حالات العبودية فالإنسان الذى يسعى وراء اللذة فى الحصول على المال الوفير، ولا يستطيع أن يسيطر على هذا المال بنفس حرة ليستخدمه لخير الناس هو إنسان متعبد لمحبة المال، ويحتاج أن يتحرر من عبودية المال ليحقق حرية النفس.
- إن الشباب الذى يتمرد على والديه ويحتقر كل نصيحة لأبويه هو فى الحقيقة نوع من الغرور والكبرياء. إنه لا يملك الحرية لذاته ولو ملكها لتقبل بهدوء ورضاء كل ما فيه منفعته.

- الشاب الذى يسير حسب شهواته تأسره أسرًا تسوقه لفعل الخطأ كعبد إنه يحتاج أن يتحرر قلبه من الشهوة.

إذن ما هى الحرية الحقيقية وكيف نحققها؟

- الحرية الحقيقية هى حالة داخلية بينك وبين الله وبينك وبين نفسك وبينك وبين العالم المحيط بك ـ حين تكون علاقتك بالله علاقه ابن بأبيه يطيعه لأنه يحبه ويجد لذة فى طاعته.
- ألا يلجأ الشاب الحر العاقل إلى وسيله غير مشروعه للتخلص من رأى خصمه مهما يكن هذا الخصم قويًّا بالقضاء عليه وحرمانه من حق الحياة.
- أن أول حقوق الإنسان الحرية ـ حرية الفكر، حرية القول، وحرية العمل. وأول أسباب الرقى مع الحرية الاجتماعية والحرية السياسية والحرية الدينية.
- إن أهم دلائل الحياة الحرة الراقية أن يتمتع أفراد الأمة على السواء بهذه الحقوق الطبيعية فيسعون دائمًا فى تعزيزها.
- ومن أكبر دعائم الحكومات الحرة قانون يكفل لشعبها هذه الحقوق، وهذه الحرية هى الشجرة التى أعدتها الشعوب بدمائها لتنمو وتشد عودها فيستظل بها جميع الناس.
- هذه الحرية هى التى ناضل الفرد من أجلها منذ بدء الخليقة وهى التى حارب الكثير من المجتمعات من أجلها وسفكوا دماءهم ليعلنوا حقوق الإنسان تلك الحقوق التى من أهمها ما يلى.

- لا يجوز محاسبة إنسان بسبب آراءه حتى الدينية منها ما دام ذلك لا يخل بالنظام العام.

- حرية نشر الأفكار والآراء حق من أثمن حقوق الإنسان؛ فلكل شخص إذن أن يتكلم ويكتب ويطبع بملء حريته ما دام لا يضر أحد.

- تلك الحرية: هى التى تغنى بها الكتاب والشعراء وكانت مصدر إلهامهم وتفكيرهم، ورأى فيها المعذبون فى الأرض الأمل الوحيد الذى يستطيعون أن يتمسكوا بالحياة من أجلها.

حرية الرأى وحرية النقد:

- يقول الله تعالى فى مخاطبة الكافرين «قال يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين» بهذه الآيات الكريمة وضع الله أساس المعاملات بين الناس. أنت لك رأيك وأنا لى رأى بلا إقناع ولا حجة لأن هذه هى البربرية التى تخلصت منها القرون السابقة.

- لقد كفلت كافة الدساتير العصرية حرية الرأى وحرية النشر وضمنت للفرد حق الحياة وحق التمتع بها لا يضار به غيره، ووسائل النقد والدعوة للرأى قد وفرتها المدنية الحديثة بحيث تصبح فى إمكان كل فرد.

الحرية هبة من الله:

الحرية حق من أهم حقوق الإنسان، وهى مطلب عزيز، ولا بد للإنسان أن يحرص على أن يعيش وهو يشعر وينعم بالحرية، فالله «سبحانه وتعالى» خلق الإنسان حرًا، وفى كرامة ونعمة وسخر له جميع الكائنات ثم عرفه حدود هذه الحرية وألا يتعدى على حرية غيره وبذلك يستطيع الإنسان ـ فى حدود طاعة الله ـ أن يؤدى رسالته فى الوجود يعمل العمل الصالح وينتج الإنتاج المفيد كما يفكر ويبدع فيما يسعد البشرية، وينتشر الخير من حوله فيسعد ويسعد غيره.

ويقول أبو القاسم الشابى:

خلقت طليقًا كطيف النسيم وحرًا كنور الضحى فى سماه

تغرد كالطير أيـن اندفعـت وتشدو بما شاء وحى الإلـه

ومعنى الحرية عند أبو القاسم الشابى فى قصيدته المعروفة أيضًا:

إذا الشعـب يومًا أراد الحيـاة فـلا بـد أن يستجيـب القـدر

ولا بـد لليـل أن ينجـلى ولا بـد للقيـد أن ينكسـر

وقال في القصيدة نفسها:

ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر

الكثير منا مع أبو القاسم فى رأيه ويجب أن تقن الحرية عند الحد الذى بينك وبين الآخرين لأن تجاوز هذا الحد يعنى إيذاء الآخرين والتسبب لهم بالضرر وهذا الذى لا يريده الله سبحانه وتعالى بل إن الإسلام وجميع الأديان تنهى عنه.

الحرية بين المفهوم والممارسة:

فى تاريخ الشعوب مرحلة تمت فيها المطالبة بالحرية بشتى مراحلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ بداية المسيحية، ثم انتشرت مطالب الحرية مع انتشار الحضارة الإسلامية وكان لها مواجهة بين الروحية التى تواجه الحق الشخصى والمسئولية بين حرية التصرف وبين الالتزام بقضية المجتمع.

والحرية هى قضية الإنسان منذ بدء وعيه وهى من طبيعته و«صراعه فى الحياة متحديًا ومناضلًا فى كل المحاولات الفاعلة لمصيره. يتناوب فيها أو يتلاعب بها، دون أن يمارسها كما يجب أن تكون، ويرتد عنها مطالبًا بها فى إطار أسبابها الموجبة

باسم القيم الإنسانية كذلك كان التاريخ حافلًا بالتناقض فى هذا الصراع وبين الإنسان بفرديته وبين واقعه الاجتماعى محاولًا كشف الحقيقة بفهم الوجود بين ذاتيته ومجتمعه.

ويدرك حقيقة الحرية إنسان المجتمع المنصهر كليًّا فى تجسيد مبادئ الحق والخير والجمال ويمارسها بعيدًا عن أنانيته وغرائزه. وهى عبء ثقيل ومسئولية لمن يعى ويهتم بكل ما يعترض مسيرة الحياة. وإن أكثر النظريات تختلف فى تحديد مفهوم الحرية بين آراء وفلاسفة الغرب والشرق، ونظرية الغرب تقوم على إزالة العوائق من طريق الإنسان ليفعل ما يشاء، ومفهوم آخر يدعو على الالتزام بفعل ما يجب على الشخص فعله. أما (أرسطو وروسو وهيغل) يدعون على أن الإنسان يكون حرًا عندما يحقق ما يجب عليه تحقيقه. و(لوز وميل) يقولان إن الإنسان حر ما دام طليقًا من القيود. والحرية هى شرط أساسى للفضيلة وليست منفصلة عنها، وفى الأناجيل اعتبرت خدمة الله هى الحرية المطلقة، وحسب التعبير الدينى هو تحرير الروح من قيود الجسد وبتعبير أدق هى تحرير الإنسان العاقل من قيود العواطف. و(أرسطو والأكوينى) يعتبر أن النظام متساويًّا مع الحرية، والقانون هو أكثر مدى لمحاسبة الحرية لأهميته المطلقة. ويقول (هيغل) «إن الحرية تبلغ كمالها فى الدولة وعلينا الاهتمام بالحرية على صعيد المفهوم والقيمة. ولا شك فى أن المعرفة تولد قوة للعقل فى فهم ارتباط الإنسان بوجوده فى محيطه وتفكيره بالعالم الإنسانى بالفعل والمشاركة، وللأدب والفنون والعلوم إعطاء لحركة معرفة المجتمع.

يقول أحد العلماء «إما أن نحيا أحرارًا أو نموت أحرارًا. وإذا كان لا بد من هلاكنا فعلينا أن نموت كما يليق بالأحرار، وإذا لم تكونوا أحرارًا من أمة حرة فحريات العالم عار عليكم» فهو يوضح لنا أن الحرية لا يفهمها إلا أصحاب

النفوس الكبيرة الذين يرون الحياة حرية وعزة.وأن دماءهم رهن لحرية أمتهم وسيادتها. فالحرية ليست حرية العدم؛ بل هى حرية الوجود، والوجود حركة صراع العقائد فى سبيل تحقيق مجتمع أفضل، وكل أمة تريد أن تحيا حياة حرة مستقلة تبلغ فيها المثل العليا يجب أن تكون ذات وحدة روحية متينة.

والحرية غريزة فطرية ومفهوم رائع تلتقى عند المشاعر وتتجاوب معه العواطف وتتطلع إليه النفوس، وهى ليست شيئًا ثانويًا فى حياة الإنسان بل حاجة ملحة وضرورة ماسّة من ضروراته، باعتبارها تعبيرًا حقيقًا عن إرادته وترجمة صادقة لأفكاره. فبدون الحرية لا تتحقق الإرادة وعدم تحقيق الإرادة يعنى تكبيل الإنسان ووأد كافة طموحاته وتطلعاته، وإلقائه فى هوة الضياع والموت البطىء، وهو ما لا ينسجم أبدًا والغاية من وجود هذا الكائن الإلهى والدور المناط به والمسئولية التى تقع على عاتقه، وبدون الحرية لا تحقق ذاتية الإنسان وكرامته وقدرته على تقرير مصيره، وبدونها أيضًا لا تتحقق سعادته «فالإنسان الذى يُساق إلى غير ما يريد ويكره على غير ما يجب يفرض عليه من الأفكار والأنظمة ما لا يقبله ولا يستسيغه لا يمكن أن يكون سعيدًا، ثم إن السعادة لا تتم إلا بالأمن، ومن لا حرية له لا أمن له».

فالحرية إذن منحة إلهية للإنسان الذى حباه الله تعالى بكل المقومات الأخرى اللازمة خلال مسيرته الحياتية والتى تضمن له أداء دوره الريادى على الأرض فى أحسن صورة.

الحرية والوجود الإنسانى:

- وجودنا الإنسانى هو فى جوهره وجود مصيرى فالوجود الإنسانى إنما يعنى أن أكون حرًا وأن أختار بنفسى مصيرى الخاص، أى أن أختار نفسى، وأن أخلق ذاتى بذاتى وهو ما يجعل فيلسوفًا مثل (يسبرز) يوحد بين الوجود

والاختيار فيستبدل بعبارة (ديكارت) المعروفة «أنا أفكر إذًا أنا موجود» هذه العبارة الجديدة «أنا أختار إذا أنا موجود».

- والواقع أن الحرية ليست مجرد ملكة يتمتع بها الإنسان دون أن يساهم فى خلقها وتحقيقها، بل ما هية الحرية تنحصر على وجه التحديد فى أنها مصدر فعلها وينبوع نشاطها، فالإنسان لا يوجد حقًا إلا إذا اختار نفسه بحرية.
- حقًا إن الإنسان يخدع نفسه فيوهم ذاته بأنه أسير للضرورة والظروف وعندئذ نراه يتخلى عن أسلوبه الإنسانى فى الحياة، لكى يحيا حياة الأشياء، ولكن الإنسان نفسه فى هذه الحالة هو الذى يتخذ لنفسه هذا المسلك، فحريتك مسئولة عن ذلك الأسلوب الخاص الذى تخيرته لذاتك والذى ارتضيت لنفسك أن تعيش فيه.
- ولكن لماذا يتوهم الناس فى كثير من الأحيان أنهم مجبرون أو أن حريتهم ليست سوى وهم من الأوهام، هنا يقول الفيلسوف (سارتر) أن الحرية كثيرًا ما تؤرق أصحابها، فترعبهم أو يرجعوا بأنفسهم إلى فكر الجبرية.

ما هى الحرية الإنسانية؟

يشير مفهوم الحرية الإنسانية فى جانب من جوانبه إلى تمتع الفرد بكامل الحقوق والواجبات المدنيّة والاجتماعية المتعاقد عليها بين المواطنين أنفسهم عبر هيئاتهم وممثليهم المنتخبين ديمقراطيًّا، بما فى ذلك التشريعات والقوانين التى يضعها نواب الشعب للدولة، فخضوع المرء للقوانين المتعاقد عليها مدنيًّا لا يعنى خضوعًا قسريًّا لسلطة خارجية عنه، إنما خضوع حر لذاته المدركة الواعية، باعتباره عنصرًا مشاركًا فيها، أما الحرية الإنسانية التى تصون كرامة الفرد، وتحافظ على مكانته الاجتماعية والأخلاقية، جديرة بالكفاح فى سبيلها، هذه الحرية حرة من الانفلات والفوضى، ومن عبودية الإنسان للإنسان والطبيعة فى الوقت

نفسه، حرية ليست ميكانيكية، إنما حرية إرادية واعية، تحدد أهدافها، ووجهة سيرها بدقة متناهية، بعدما عاشت لحظات من الفوضى التلقائية العارمة، إنها شعور إنسانى بمعنى الحياة، تخضع لسلطة الإنسان، يتحكم بها، ويحدد ماهيتها ومواصفاتها.

أنواع الحرية الإنسانية

وللحرية أنواع عديدة منها الفكرية والسياسية والدينة والاجتماعية والنفسية.... وغيرها وسوف يتناول العرض التالى بعضًا من هذه الأنواع:

الحرية النفسية:

الحرية فى جوهرها حاجة إنسانية ترتبط بإحساس وشعور الإنسان الداخلى، وكونها شعورًا داخليًّا فإنها حاجة نفسية فى المقام الأول منشؤها النفس، لذا فالحرية النفسية تعبير عن حرية الإنسان بأوسع معانيها، إذ تنتهى سلطة الطرف الخارجى عند فناء الجسد الحامل لها، سواء كانت فردًا أو جماعة، مجتمعًا أو دولة، طقوسًا دينية، أو قيمًا أخلاقية، أعرافًا اجتماعية أو قوانين مدنية، فيترك للإرادة والعقل والشعور والعاطفة والضمير الحرية الكاملة فى التفكير والتصرف، بعيدًا عن الخوف من الآخر ومساءلته، فالنفس الفردية وعاءً حقيقى للحرية الشخصية، ومملكة مستقلة فى علاقتها بمحيطها الاجتماعى، التفكير والرغبات والعواطف والغرائز فيها حرة لا تخضع لسلطة، إلا سلطة الفرد نفسه.

الحرية الاجتماعية:

ساحتها الرئيسية المجتمع، وهى على مستويين، الأول الجماعات البشرية المكونة للمجتمع، بأصولها العرقية، وأطيافها الاجتماعية والثقافية المختلفة،

والثانى المجتمع كوحدة اجتماعية متكاملة، والحرية الاجتماعية فى المستويين المذكورين، تعنى عدم إجازة ممارسة أى شكل من الإكراه أو القهر أو التمييز الداخلى، من جانب بعض الفئات الاجتماعية أو غيرها، وعدم التدخل فى الشئون الاجتماعية للمجتمع، بما فى ذلك نشاط المنظمات الأهلية، الملتزمة بالقوانين والأنظمة المتعاقد عليها بين أفراد الشعب والدولة، على نحو ينال من حرية الأفراد فى التعبير عن الرأى وممارسة حقوقهم الاجتماعية، واحترام خصوصياتهم الثقافية المتنوعة، فهناك عادات وتقاليد اجتماعية متنوعة، ينبغى احترامها، وعدم المس بها، فللمجتمع حريته الكاملة فى الاحتفاظ بموروثه الاجتماعى والثقافى، وأسلوب عيشه، وتنشئة أبنائه تنشئة سليمة تُسهم فى نهوضه وتقدمه، وهناك انتهاك للحريات الاجتماعية حيال العديد من الجماعات والأقليات الاجتماعية فى العديد من الدول، أقلها على سبيل المثال تدخل الحكومات بتحديد نوع اللباس المسموح بارتدائه، بسبب محاربة الرموز الدينية.

إن النيل من الحريات الاجتماعية للجماعات والأمم والشعوب، هو اعتداء على هوياتها الثقافية والقومية. الأمر الذى يتناقض مع مفهوم الحرية الاجتماعية ذاته.

الحرية السياسية:

تتمثل الحرية السياسية فى حرية التعبير عن الرأى، واختيار المعتقد السياسى، والانتماء الحزبى، وممارسة العمل السياسى المنضبط بالأنظمة والقوانين الوطنية والقومية المتعاقد عليها بين أفراد المجتمع، والدفاع عن المصالح الوطنية فى مواجهة الأخطار والتهديدات والمؤامرات المعادية، فالحرية السياسية تمنح الفرد كامل حقوق المواطنة، وفى مقدمتها ممارسة الديمقراطية، وحق الانتخاب والترشح، وشغل الوظائف المختلفة، على أساس مبدأ تكافؤ الفرص والأهلية.

من ناحية أخرى تحتاج الحرية السياسية على كافل لها، يمنع الاعتداء عليها، ويصونها، وهذا الكافل هو الدستور والقانون، فالحرية السياسية تنطوى على المساواة القانونية بين الأفراد والتعامل معهم، ومع الأطر والأحزاب التى ينتسبون إليها، بمعنى جعل سيادة القانون المبدأ والأساس فى ممارسة الحرية السياسية، والمحافظة عليها. أما الحرية السياسية للدول، فتقضى بعدم تدخل قوى دولية خارجية فى شئونها الداخلية، عملًا بمبادئ القانون الدولى الذى يكفل للدول حرياتها فى رسم سياساتها الداخلية والخارجية فليس من حق أى دولة، ممارسة أى شكل من أشكال الضغط السياسى على دولة أخرى، طالما أنها ملتزمة بمبادئ القانون الدولى، ولا تشكل تهديدًا لغيرها من الدول؛ بهذا المعنى تنحصر الحرية السياسية فى كونها حرية أفراد وأحزاب ودول، من حق الجميع امتلاكها دون تعسف أو إكراه.

الحرية الدينية:

تعتبر الحرية الدينية من أولويات دعوة الأنبياء والرسل، وكانت الشعار الرئيسى لكل نبى ورسول، وأعلنها رسول الله ﷺ فى دعوته وسنته، وقررها القرآن الكريم فى آيات كثيرة... ولكن هذه الحرية الدينية عانت الشىء الكثير فى التاريخ، وواجهت صعوبات جمة، وسدودًا قبيحة، وكانت محورًا لحروب دينية طاحنة فى العالم، واستغلها كثير من الحكام والمحتلين سلبًا أو إيجابًا.

ولاقت الحرية الدينية استغلالًا، وإفراطًا، وتفريطًا، دون التقيد بمبادئ محددة، وضوابط محكمة ورشيدة حتى فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، كما انتهكت الحرية الدينية فى الحروب الصليبية فى الماضى، وتحت ظل الاحتلال الأجنبى فى العصر الحاضر.

ولا تزال الحرية الدينية فى القرن العشرين والحادى والعشرين تقف فى وجهها الأطماع، وتحت التوجهات السياسية، والمؤامرات السرية، والتعصبات وتناالها الأقلام الحاقدة، والنزعات العلمانية والإلحادية بالسوء والطعن والتشكيك، ويقف العقلاء والمفكرون والمصلحون والمعتدلون بالمرصاد لكل هذه الحركات الهدامة، ويعلنون التمسك بالحرية الدينية التى تعد من أهم الحريات، وأقدس حقوق الإنسان، لأنها تتصل بالعقيدة والإيمان، والفكر والقلب الذى يخص كل إنسان فى الكون، مهما كان عمله، ومهما تغيرت مواقعه، ومهما تفاوتت صفاته، لأنها جزء من الفطرة، وتكوين النظرة الصحيحة عن الكون وخالقه، والحياة ونواحيها والإنسان ومكانته.

الحرية الدينية تاريخيًّا ودوليًّا:

إن حقوق الإنسان عامة، والحرية الدينية خاصة، لم تكن على الصورة الشائعة اليوم محليًّا وعالميًّا.

أولاً: فكرة حقوق الإنسان والحرية الدينية:

إن فكرة حقوق الإنسان موجودة بالفطرة، ومنذ خلق الإنسان، ومع دعوة الأنبياء والمرسلين، من آدم عليه السلام حتى خاتم الأنبياء ﷺ، ثم مع دعوات المصلحين والفلاسفة والمفكرين كأفلاطون وأرسطو، وسيسرون وميكافيلى، وسبينوزا ولوك، وروسو ومونتسكيو، الذين وضعوا نظريات لحقوق الإنسان، وطرحوا أفكارًا فيها، وأقاموا نظرتهم على أساس الواقع أو المنطق.

ولم تظهر فكرة حقوق الإنسان إلا جزئيًّا وبشكل رسمى فى القرن الثالث عشر الميلادى الموافق للقرن السابع الهجرى، أى بعد نزول القرآن بسبعة قرون، وذلك نتيجة لثورات طبقية وشعبية فى أوروبا، ثم فى القرن الثامن عشر فى فرنسا

وأمريكا، لمقاومة التمييز الطبقى، والتسلط السياسى، والظلم الاجتماعى، وتدرج الأمر فى القرن العشرين لمحاربة التفرقة العنصرية.

وأول من تعرض للحرية الدينية هو الدستور الأمريكى الذى صدر عام ١٧٨٧م، وذكر بعض الحقوق الإنسانية، ومنها حرية العقيدة، وتعدلت هذه الحقوق عدة مرات.

ثانيًا: حقوق الإنسان والحرية الدينية نظامًا وتشريعًا:

ظهرت هذه المرحلة جزئيًّا فى إنجلترا، ثم برزت كاملة مع الثورة الفرنسية، وصدر فى الرابع من (أغسطس) عام ١٧٨٩م وثيقة حقوق الإنسان والمواطن، وكانت محو العار، وخاصة فى الاضطهاد الدينى، وانعدام الحريات الشخصية، وعرضها الدستور الأمريكى ١٧٨٩م مع تعديلاته حتى سنة ١٧٩١م

ثالثًا: حقوق الإنسان والحرية الدينية فى الإسلام فى العصر الحاضر:

بعد انضمام كثير من البلاد العربية والإسلامية إلى هيئة الأمم المتحدة، والتوقيع على ميثاقها، والتصديق على الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، وشيوع هذه المبادئ ـ ولو نظريًّا ـ فى العالم، ظهرت الصيحات العديدة لبيان حقوق الإنسان فى الإسلام، وبيان موقف الإسلام والمسلمين من ذلك وتحديد نظرية الحرية الدينية فيه، وصدرت مؤلفات فى هذا الخصوص، وتوالت البحوث والمقالات طوال النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى.

وهكذا سادت الحرية الدينية اليوم فى العالم، مع وجود الاستثناءات الكثيرة فى استغلال الجهل، والفقر، والاحتلال، والضعف، والهجرة، والتشرد، والسياسة، لمنع ممارسة حرية التدين، أو التشدد فيها، أو الحظر عليها، ولكنها ستبقى خالدة لأنها تمثل فطرة الله تعالى فى الإنسان.

وهكذا يتبين أن الحرية الدينية، وحق التدين، وحرية الاعتقاد، ليس لها تاريخ بعيد فى الشرق، والغرب، وفى أوروبا خاصة، وسائر أنحاء العالم، وإنما كان الإكراه على الدين، والتعصب، هو السائد، حتى قامت الثورة الفرنسية، وفصلت الدين عن الدولة، وأعلنت حرية التدين، ولو نظريًّا، إلى أن جاء الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فنص على ذلك بتواضع واستحياء، ولم يخصص لذلك مادة مستقلة، وإنما جاء ضمن المادة ١٨ منه والتى تنص على أنه «لكل شخص الحق فى حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل ذلك حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنها بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها، سواء كان ذلك سرًا أم جماعة» حتى امتاز الإعلان الإسلامى لحقوق الإنسان فى موضوع الإيمان والعقيدة، وارتكاز حقوق الإنسان عامة على أساس الإيمان، وحق الشخص فى الدعوة إلى دينه الذى يعتنقه، وحقه فى ممارسة العبادات التى تنص عليها العقيدة، وأن الجهاد لم يهدف إلى إكراه أحد على الإسلام، وإنما لرفع العقبات أمام الدعوة لتنفيذ حرية العقيدة والتدين وإزالة الظلم حتى يتمكن الناس من اعتناق العقيدة الصحيحة واختيار الدين الحق والإيمان السليم.

الحريات العامة.. وأنواعها

ذكر مصطفى أبو زيد فهمى (٢٠٠٩م) أنه عند الحديث عن الحريات العامة يجب أن نفرق بين الحريات العامة التقليدية والحريات العامة الجديدة التى اتخذت شكل الحقوق الاجتماعية، وإذا كنا نعبر عن الوضع القديم بلفظ (الحريات) ونعبر عن التطور الجديد بلفظ (الحقوق) فذلك يرجع إلى أن التطور الجديد قد انتهى إلى منح حقوق للأفراد هى بمثابة منح إيجابية تقدمها الدولة لهم.

وفى عرضنا للحريات العامة لن نتناول الحريات السياسية. فالحريات العامة بالمعنى الفنى الدقيق لا تضم الحريات السياسية وذلك لأن فارق أساسى بينها يمنع تداخلها؛ فالحريات العامة تمثل مجموع الوسائل القانونية التى تسمح للفرد بأن يقود حياته الخاصة ويساهم فى الحياة الاجتماعية العامة للبلاد. أما الحريات السياسية فهى الطريق إلى المساهمة فى السلطة العامة وحكم الدولة؛ فالأولى هى الهدف والثانية هى الوسيلة لتحقيق هذا الهدف.

الحريات العامة التقليدية

تنقسم الحريات العامة التقليدية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الحريات الشخصية.

٢ ـ حريات الفكر أو الحريات الذهنية.

٣ ـ الحريات الاقتصادية.

وفيما يلى عرض موجز لهذه الحريات الثلاث: ـ

١- الحريات الشخصية: تشمل أنواعًا خمسة من الحريات:

أ ـ حرية التنقل.　　ب ـ حق الأمن.

ج ـ حرمة المسكن. د ـ سرية المراسلات.

هـ ـ احترام السلامة الذهنية للإنسان.

وهذه الحريات يسميها البعض بالحريات الأساسية وذلك لأنها تعتبر بغير شك أساسًا للحريات العامة الأخرى وأساسًا للحريات السياسية أيضًا.

أ ـ حرية التنقل:

هذه الحرية تسمح للإنسان بأن ينتقل من مكان إلى آخر داخل بلاده، وتسمح له بأن يغادر إقليم بلاده كلية ويعود إليه متى شاء.

وحرية التنقل تسمح للإنسان بأن يغدو ويجيء ماشيًا أو راكبًا، فإذا استعمل حرية التنقل سيرًا على الأقدام فهو حر فى أن يختار أى طريق يريد دون أن يجبر على استعمال طريق دون آخر. وإذا أراد أن ينتقل مستعملًا إحدى السيارات الخاصة فهو حر فى أن ينتقل بها كما يريد ويتوقف بها فى أى مكان يريد.

وهذه الحرية كسائر الحريات يجب أن تتاح للكافة دون استثناء، ويمكن أن تقيد هذه الحريات من داخل المحافظة على الأمن العام وقد يمنع الدخول فى مدينة موبوءة للمحافظة على الصحة العامة وللحيلولة دون استثناء الوباء.

ب ـ حق الأمن:

هذا الحق يمثل الحرية الشخصية فى أدق صورها، وهو يعبر عن حق الإنسان فى ألا يقبض عليه أو يحبس إلا فى الأحوال المنصوص عليها فى القانون.

فالقانون والقانون وحده هو الذى يحدد هذه الحالات التى يفقد فيها الشخص حريته.

ويلاحظ أن الإدارة وإن أبيح لها فى بعض الأوقات أن تقيد من الحرية الشخصية للفرد فتصدر قرارًا بوضعه فى أحد المتعقلات أو قرارًا بوضعه فى

إحدى مستشفيات الأمراض العقلية فإنها فى ذلك تكون مستندة إلى قانون يقرر هذه السلطة وينظمها فى الوقت نفسه، فلا يساء استعمالها أو تستعمل كسلاح للتنكيل بالأفراد.

ج ـ حرية المسكن:

هذه الحرية يتمتع بها الإنسان فى المكان الذى يسكن فيه سواء أكان مالكًا أو مستأجرًا وهى تتطلب أولا الاعتراف بحق الإنسان فى اختيار مسكنه فى أى مكان يريد، وفى تغييره عندما يريد، وتقضى بعد ذلك بحق الإنسان فى ألا يقتحم مسكنه أو يفتش إلا فى الأحوال التى ينص عليها القانون.

د ـ سرية المراسلات:

إن الإنسان حر فى أن يعبر عن أفكاره كما يريد فيما يكتبه من رسائل فلا يجوز أن تنتهك سرية هذه المراسلات، ففضلًا عما فى ذلك من انتهاك لحق الملكية فإن فيه انتهاكًا لحرية الفكر التى تقضى أن يكون الإنسان حرًا فى التعبير عن رأيه.

وهذه الحرية لا تحمى الخطابات فقط بل تمتد إلى كل الوسائل التى تشبهها كالمحادثات التليفونية مثلًا، وهذه الحرية كسائر الحريات لا يمكن أن تكون قيدًا نهائيًا يغل من سلطة الدولة فى حماية مصالح المجموع؛ ولذلك فإنها يمكن أن تقيد فى بعض الأحيان إذا وجد ما يدعو إلى هذا التقييد.

هـ ـ احترام السلامة الذهنية للإنسان:

إن تقدم العلم أدى إلى إضافة هذه الحرية لتكون واحدة من الحريات الشخصية فالإنسان له الحق أن تحترم سلامته الذهنية فلا يعذب أثناء التحقيق ولا يكره على اعتراف.

٢- حريات الفكر أو الحريات الذهنية:

وهى بدورها تتفرع إلى عدة فروع، وتدور كلها فى فلك واحد وهو أن الإنسان حر فى أن يكون رأيه كما يريد، حر فى التعبير عنه كما يريد فهو حر فى أن يكون فكره فى شتى الموضوعات. وهو حر فى أن ينشر هذا الفكر على الآخرين بالوسائل التى يملكها، وهذه المجموعة تضم:

أ ـ حرية الرأى. ب ـ الحرية الدينية.

ج ـ حرية التعليم. د ـ حرية الصحافة.

هـ ـ حرية المسرح والسينما والإذاعة.

و ـ حرية الاجتماع. ز ـ حرية تكوين الجمعيات.

وفيما يلى عرض مختصر لهذه الحريات:

أ ـ حرية الرأى: تعتبر هذه الحرية بمثابة الحرية الأم بالنسبة لسائر الحريات الذهنية.

فكلها تصدر عن حرية الرأى التى تبيح للإنسان أن يكون رأيًا خاصًا فى كل ما يجرى حوله من أحداث وفضلًا عن ذلك فإنها تبيح له أن يجهر بهذا الرأى ويعلنه على الآخرين.

ب ـ الحرية الدينية:

هذه الحرية تتعلق بعبادة الفرد لربه وهى تضم فى الواقع حريتين: حرية العقيدة، وحرية إقامة الشعائر الدينية. الحرية الأولى تتيح للإنسان أن يعتنق دينًا معينًا، والحرية الثانية تبيح له أن يزاول شعائر هذا الدين.

ج ـ حرية التعليم: وهذه الحرية تنطوى على أمور ثلاثة:

ـ حق الفرد فى أن يعلم، وهذا الحق يسمح للفرد بأن ينشر علمه وأفكاره على الناس.

ـ حق الفرد أن يتعلم، وهذا الحق يسمح للفرد بأن يتلقى قدرًا من التعليم يناسب مواهبه واستعداده العقلى وبصرف النظر عما إذا كان غنيًّا أو فقيرًا.

ـ حق الفرد فى أن يختار أستاذه.

وحرية التعليم بفروعها الثلاثة من أكثر الحريات العامة خضوعًا لتدخل الدولة وقيودها.

د ـ حرية الصحافة:

إن حرية الصحافة فى مفهومها الأولى تتطلب أن تكون الصحف كلها حرة فيما تكتب لا تستطيع الحكومة أن تملى عليها رأيًا أو تنزل بها بعض صنوف المضايقات إذا ما زاولت حق النقد؛ ولكن هذا المفهوم الأول فى الحرية تغير بالنسبة للصحافة مع تغير الظروف التى مر بها العالم، ومع التقدم الهائل فى العلم والتكنولوجيا فالصحف لم تعد محدودة الانتشار محدودة التوزيع بطينة الطبع، بل أصبحت مع انتشار القراءة والكتابة شديدة الانتشار، وأصبحت مع الآلة الحديثة فى الطباعة سريعة الطبع.

هـ ـ حرية المسرح والسينما والإذاعة:

إن الحرية تختلف سعة وضيقًا بالنسبة للمسرح والسينما والإذاعة، فكلها وسائل لنشر الرأى وبالتالى فهى تعمل عملها فى التأثير فى الرأى العام. وكلما كانت الوسيلة شديدة التأثير فى هذا المجال ـ بحكم طبيعتها ـ كانت الرقابة عليها أقسى وأشد... فالمسرح وهو أقل من السينما والإذاعة فى التأثير لا يضع ـ كقاعدة عامة ـ ومن ثم فمجال الحرية فيه واسع.

وأما السينما فالأمر فيها على عكس المسرح، فهى أكثر منه انتشارًا وأبعد منه تأثيرًا فى جماهير الشعب ولذلك فهى كقاعدة عامة تخضع لنظام الرقابة.

وأما الإذاعة فإنها فى تأثيرها تفوق السينما أضعافًا مضاعفة، فالساعات التى يستمع فيها الفرد إلى الإذاعة أضعاف تلك التى يرى فيها أفلامًا سينمائية، وفضلًا عما تتمتع به الإذاعة من أهمية بالغة بالنسبة لنشر الآراء فهى تتمتع بأهمية عظمى فى الدعاية فى الداخل والخارج.

و ـ حرية الاجتماعات:

إن الاجتماع الذى تواجهه هذه الحرية يتميز بشروط ثلاثة:

أولًا: هو حادث عمدى يسعى له أصحابه عن قصد وبذلك يتميز عن مجرد التجمهر العابر الذى يحدث إثر حادث معين يستلف النظر. وثانيًا هو حادث مؤقت يدوم لفترة معينة وثالثًا هو حادث يتميز بأن الغرض منه الدفاع عن رأى معين وإقناع الآخرين به وحثهم للعمل من أجله.

ز ـ حرية تكوين الجمعيات:

إن هذه الحرية تكفل للمواطنين تكوين ما شاءوا من الجمعيات أو الانضمام إليها بعد إنشائها

والجمعيات تشمل أنواعًا عدة: فمنها السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، ومنها ما يهتم بتحقيق غرض معين على نطاق دولى ـ كجمعية الصليب الأحمر مثلًا والمشاهد ـ كقاعدة عامة ـ أن الجمعيات غير السياسية تتحمل قيودًا من الجمعيات السياسية.

٣- الحريات الاقتصادية:

إن الحريات الاقتصادية هى بذاتها حرية التملك، وحرية التجارة، وحرية الصناعة، حيث أن الخير كل الخير فى أن يترك الناس أحرارًا، لا قيد على حريتهم فى التملك، أو حريتهم فى التجارة أو حريتهم فى الصناعة.

ـ ويرى البعض أن الإشارة إلى أنواع الحريات تعنى بالتحديد هنا التصنيف

الغربى لها الذى يجرى تطبيقه فى الدول الرأسمالية الغربية، وتصنف هذه الحريات فى ثلاث مجموعات هى:

١ ـ الحرية السياسية. ٢ ـ الحرية الاجتماعية. ٣ ـ الحرية الاقتصادية.

وفيما يلى عرض موجز لأهم أنواع الحريات.. والتى وردت فى أحد المواقع:

الحرية السياسية

ويقصد بها إتاحة الفرصة للمحكومين للمشاركة الفعلية فى الحكم أى إمكانية المناقشة أو الإسهام الفعلى فى عملية صنع القرار، وتتحقق بعدد من النظم منها:

١ ـ مبدأ الدستور المكتوب باعتبار أنه الوثيقة التى تعبر عن الحريات العامة.

٢ ـ مبدأ سيادة الدستور بحيث تكون له قدسية مطلقة.

٣ ـ الانتخاب كوسيلة لاختيار الحكم.

٤ ـ عدم تركيز السلطة فى يد واحدة أو فئة واحدة.

٥ ـ الفصل بين السلطات.

وهى تتيح للإنسان فرصة المشاركة فى اتخاذ القرارات الحكومية؛ وتشمل حق التصويت فى اختيار أحد المرشحين المتنافسين على وظيفة عامة، وحق الفرد فى ترشيح نفسه لوظيفة، والحق فى نقد سياسات الحكومة.

ويرى بعض علماء الاجتماع أن الحرية السياسية غير ذات معنى إذا لم تؤازرها حقوق اقتصادية واجتماعية، إذ لا قيمة للتصويت إذا لم تتوافر حاجاتهم الأساسية.

الحرية الاجتماعية

حسب المفهوم الغربى للديمقراطية تشمل الحرية الاجتماعية حرية التعبير والصحافة، والحرية الدينية، وحرية الاجتماع، والحرية التعليمية، وحرية التقاضى وفقا لقواعد الإجراءات القانونية.

الحرية الاقتصادية

وهى تعنى تمكن الناس من أن يتخذوا قراراتهم الاقتصادية بأنفسهم، وهذه الحرية تشمل حق الملكية، واستعمالها وجنى الربح منها. فالعمال أحرار فى اختيار وظائفهم، وللناس حرية ادخار المال واستثماره بمحض إرادتهم.

كما وردت أنواع الحرية ـ فى بعض المواقع ـ على النحو التالى:

"الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية"

"الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية"

النوع الأول: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية، وهذا الصنف يشمل الآتى:

(أ) الحرية الشخصية: والمقصود بها أن يكون الإنسان قادرًا على التصرف فى شئون نفسه، وفى كل ما يتعلق بذاته، آمنًا من الاعتداء عليه، فى نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون فى تصرفه عدوان على غيره، والحرية الشخصية تتضمن شيئين:

١ ـ حرمة الذات: وقد عنى الإسلام بتقرير كرامة الإنسان، وعلو منزلته، فأوصى باحترامه وعدم استهانه واحتقاره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وميزه بالعقل والتفكير تكريمًا له وتعظيمًا لشأنه، وتفصيلًا له على سائر مخلوقاته.

٢ ـ تأمين الذات بضمان سلامة الفرد وأمنه فى نفسه وعرضه وماله، فلا يجوز التعرض له بقتل أو جرح، أو أى شكل من أشكال الاعتداء، سواء كان على البدن كالضرب والسجن ونحوه، أو على النفس والضمير كالسب أو

الشتم أو الازدراء والانتقاص وسوء الظن ونحوه، ولهذا قرر الإسلام عقوبات، تكفل حماية الإنسان ووقايته من كل ضرر أو اعتداء يقع عليه، ليتسنى له ممارسة حقه فى الحرية الشخصية.

(ب) حرية التنقل (الغدو والرواح): والمقصود بها أن يكون الإنسان حرًا فى السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه، والتنقل حق إنسانى طبيعى مقتضيه ظروف الحياة البشرية من الكسب والعمل وطلب الرزق والعلم ونحوه. وقد جاءت (حرية التنقل) بالكتاب والسنة ففى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ ولا يمنع الإنسان من التنقل إلا لمصلحة راجحة، كما فعل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى طاعون عمواس، حين منع الناس من السفر إلى بلاد الشام الذى كان به هذا الوباء، ولم يفعل ذلك إلا تطبيقًا لقول رسول الله ﷺ: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه)، ولأجل تمكين الناس من التمتع بحرية التنقل حرم الإسلام الاعتداء على المسافرين، والتربص لهم فى الطرقات، وأنزل عقوبة شديدة على الذين يقطعون الطرق ويروعون الناس بالقتل والنهب والسرقة.

(ج) حرية المآوى والمسكن: فمتى استطاع الإنسان الحصول على مسكنه واختياره، فله حرية ذلك، كما أن العاجز عن ذلك ينبغى على الدولة أن تدبر له السكن المناسب، حتى تضمن له أدنى مستوى لمعيشته.

فإذا ما ملك الإنسان مأوى ومسكن، فلا يجوز لأحد، أن يقتحم مآواه، أو يدخل منزله إلا بإذنه، حتى لو كان الداخل خليفة، أو حاكمًا أعلى ـ رئيس دولة ـ ما لم تدع إليه ضرورة قصوى أو مصلحة بالغة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وإذًا قد نهى عن دخول البيوت بغير إذن أصحابها، فالاستيلاء عليها أو هدمها أو إحراقها من باب أولى، إلا إذا كان ذلك لمصلحة الجماعة، بعد ضمان المبيت ضمانًا عادلًا، وهذه المصلحة قد تكون بتوسعة مسجد، أو بناء شارع، أو إقامة مستشفى، أو نحو ذلك، وقد أجلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أهل نجران، وعوضهم بالكوفة. ولحفظ حرمة المنازل وعظمتها حرم الإسلام التجسس، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ وذلك لأن فى التجسس انتهاكًا لحقوق الغير والتى منها: حفظ حرمة المسكن، وحرية صاحبه الشخصية بعدم الاطلاع على الأسرار.

د ـ حرية التملك: ويقصد بالتملك حيازة الإنسان للشىء وامتلاكه له، وقدرته على التصرف فيه، وانتفاعه به وذلك عندما لا توجد موانع شرعية. وله نوعان:

١ ـ التملك الفردى: هو أن يحرز الشخص شيئًا ما، وينتفع به على وجه الخصوص وقد أعطى الإسلام للفرد حق التملك، وجعله قاعدة أساسية للاقتصاد الإسلامى.

غير أن الإسلام لم يترك (التملك الفردى) مطلقًا من غير قيد، ولكنه وضع له قيودًا كى لا يصطدم بحقوق الآخرين، كمنع الربا والغش والرشوة والاحتكار.

٢ ـ التملك الجماعى: وهو الذى يستحوذ عليه المجتمع البشرى الكبير، أو بعض جماعاته، ويكون الانتفاع بآثاره لكل أفراده، ولا يكون انتفاع الفرد به إلا

لكونه عضوًا فى الجماعة، دون أن يكون لـه اختـصاص معـين بجـزء منـه، مثالـه: المساجد والمستشفيات العامة والطرق والأنهار.

(هـ) حرية العمل: العمل عنصر فعـال فى كـل طـرق الكـسب التـى أباحهـا الإسلام، وله شرف عظيم باعتباره قوام الحيـاة ولـذلك فـإن الإسـلام أقـر بحـق الإنسـان فيـه فـى أى ميـدان يشـاؤه ولـم يقيـده إلا فـى نطـاق تـضاربـه مـع أهدافه أو تعارضه مع مصلحة الجماعة؛ ولأهمية العمل فى الإسلام اعتبر نوعًا مـن الجهاد فى سبيل الله.

النوع الثانى: الحرية المتعلقة بحقـوق الفـرد المعنويـة، وهـذا الـصنف يـشمل الآتى:

(١) حرية الاعتقاد: ويقصد بها اختيار الإنسان لـدين يريـده بيقـين، وعقيـدة يرتضيها عن قناعة، دون أن يكرهه شخص آخر على ذلـك، فـإن الإكـراه يفـسد اختيار الإنسان، ويجعل المكره مسلوب الإرادة، فينتفى بذلك رضاه واقتناعـه وإذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ نجـد أن الإسـلام رفـع الإكـراه عـن المـرء فى عقيدته.

(ب) حرية الرأى: وتسمى أيضًا بحرية التفكير والتعبير، وقد أعطى الإسـلام للإنسان الحرية فى أن يقلب نظره فى صـفحات الكـون المليئـة بالحقـائق المتنوعـة، والظواهر المختلفة، ويحـاول تجربتهـا بعقلـه، واسـتخدامها لمـصلحتـه مـع بـنى جنسـه، لأن كل ما فى الكـون مـسخر للإنـسـان، يـستطيـع أن يـستخدمـه عـن طريـق معرفـة طبيعتـه ومـدى قابليتـه للتفاعـل والتأثـير، ولا يتأتـى ذلـك إلا بالنظـر وطول التفكير.

(ج) حرية التعلم: طلب العلم والمعرفة حـق كفلـه الإسـلام للفـرد، ومنحـه حرية السعى فى تحصيله، ولم يقيد شيئًا منه، مما تعلقت به مـصلحة المـسلمين دينًـا

ودنيا، بل شجعهم لتحصيل ذلك كله، وسلوك السبيل الموصل إليه، أما ما كان من العلوم بحيث لا يترتب على تحصيله مصلحة، وإنما تتحقق به مضرة ومفسدة، فهذا منهى عنه، ومحرم على المسلم طلبه، مثل علم السحر والكهانة. ولأهمية العلم والمعرفة فى الحياة، نزلت آيات القرآن الأولى تأمر النبى ﷺ بالقراءة قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والقراءة هى مفتاح العلم.

(د) الحرية السياسية: ويقصد بها حق الإنسان فى اختيار سلطة الحكم، وانتخابها، ومراقبة آياتها، ومحاسبتها، ونقدها، وعزلها إذا انحرفت عن منهج الله وشرعه، وحولت ظهرها عن البعد عن الحق والصلاح.

كما أنه يحق له المشاركة فى القيام بأعباء السلطة، ووظائفها الكثيرة، لأن السلطة حق مشترك بين رعايا الدولة، وليس حكرًا على أحد، أو وقفًا على فئة دون أخرى.

وبالإضافة إلى ما سبق هناك عددًا من الحريات الأخرى منها مايلى:

الحرية الوجدانية:

أن كثيرًا من الشباب تعلم عادات وجدانية رديئة والوجدان مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالانفعال فنحن عندما نعتاد الانفعال بالغضب أو بالجنس لأسباب معينة فإن حياتنا تصبح أسرى لتلك الأسباب، والإنسان صاحب الوجدان الحر يستطيع أن يخلص نفسه من أثار الأسباب التى تدفع به دفعًا فى طريق الانفعال الشديد.

فالحرية الوجدانية تتحقق إذا كان الشخص هو صاحب اختياراته وكان خالصًا ومتحررا من أثر الانفعالات التى تؤثر وتسيطر عليه وتجعله عبدًا لبعض الرغبات أو المخاوف أو الاضطرابات النفسية.

الحرية العقلية:

إن الحرية العقلية يمكن أن تتحقق للشخص إذا هو استطاع أن يصحح أفكاره أولًا بأول ـ بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن الحرية الفكرية.

حرية الاختيار:

قديمًا كانت تربية الأبناء تعتمد على أساليب وطرق وطقوس دينية متشددة تحد من حرية الفرد وتمنعه من القيام بأى عمل أو الإدلاء بأى رأى يكون مخالفًا للتقاليد المتفق والمتعارف عليها وهذا الجو القديم كان يسوده شيئًا من الدكتاتورية وكبتًا للحريات الفردية مما أثر على الأولاد عند الكبر فحرمهم من الجرأة والقدرة على التعبير أو التصرف بحرية، حتى أن بعضهم ما زال يعود إلى آبائهم لاستشارتهم لأنهم غير قادرين على أخذ القرارات فى الحالات الدقيقة والصعبة بمفردهم.

الحرية النفسية:

سوف نحاول خلال العرض التالى التعرف على معنى الحرية النفسية الذى لم يتطرق إليه الكثير من الكتاب بالدراسة حيث ان الحرية حريتان: حرية من القيود والعوائق الخارجية، وحرية من القيود والعوائق النفسية الداخلية، وهذا النوع الأخير من الحرية هو ما نسميه الحرية النفسية.

وللحرية النفسية معنيان: معنى سلبى، ومعنى إيجابى.

ونحن نعنى بالمعنى السلبى: أنه تلك الظروف أو الشروط الوقائية أو المنعية التى تحمى المرء من الوقوع فى قبضة القيود أو العوائق النفسية.

وعندما نقتصر فى المعنى السلبى للحرية النفسية على التحرر من القيود والعوائق النفسية التى تصادر هذه الحرية، فإننا فى المعنى الإيجابى للحرية النفسية

سوف نأخذ فى الاعتبار بعض الخصائص أو المميزات التى يجب أن تتوافر لدى الفرد حتى يتسنى وصفه بأنه قد حاز الحرية النفسية

وفيما يلى نقدم أهم تلك الخصائص أو المميزات:

أولًا ـ تحرر القدرات العقلية واستثمارها: ونحن إذ نذكر القدرات العقلية، فإننا نجد أن أول قدرة عقلية يجب أن يمتلكها المرء لكى يكون متمتعًا بالحرية النفسية هى القدرة على إدراك الموضوعات الحسية بحاسة أو أكثر من حواسه الخمس على وجهها الصحيح.

ثانيًا ـ تحرر القدرات الإفصاحية والتعبيرية.

ثالثًا ـ الاستمرار فى اكتساب الخبرات.

رابعًا ـ التبلور الوجدانى حول محاور معينة والتمتع بالاتزان الوجدانى.

خامسًا ـ التمتع بالاتزان الإرادى: إن الشخص المتمتع بالحرية النفسية هو أيضًا الشخص الذى يتمتع بالتوازن النفسى.

سادسًا ـ الإفادة من الخبرات السابقة دون أن تشكل تلك الخبرات عوائق.

سابعًا ـ تحديد الأهداف بحيث تكون أهدافًا قابلة للتحقيق.

شروط الحرية النفسية:

الشروط البيولوجية: يخرج منها بعض الجوانب التى تتعلق بالصحة العامة للمرء وهى: ـ

أولًا: قدرة المرء على النهوض بالوظائف الحيوية الأساسية كالقيام والجلوس والمشى وتناول الأشياء وتناول الطعام وقضاء الحاجة والنهوض بالنشاط الجنسى السليم فى الشباب والكهولة.

ثانيًا: تمتع المرء بطاقة حيوية متدفقة تسمح له بالنهوض بالأعمال والأنشطة المطلوبة منه.

ثالثًا: أن تسير عملية الهدم والبناء بطريقة سوية ووفق المرحلة العمرية للفرد.

رابعًا: سلامة وكفاءة الجهاز العصبى متمثلًا بصفة أساسية فى المخ وهو المسئول عن تنظيم الأنشطة الذهنية والوجدانية والإرادية.

خامسًا: الاتزان الهرمونى: بمعنى أن تكون الهرمونات المفرزة فى الدم بواسطة الغدد الصماء فى حدود النسب التى تحقق ما يسمى بالاتزان الهرمونى.

* ومن أهم الشروط البيولوجية لتوافر الحرية النفسية مايلى:

- الوراثة الجيدة. - الرعاية الصحية الجيدة لتوفير فرص النمو السليم.
- الوقاية من الأمراض والعلاج منها. - الرياضة والترويح عن النفس.
- هناك علاقة بين الصحة الجسمية والصحة النفسية فلذا نجد أن العقاقير الطبية لها دخل كبير فى التحرر النفسى.

الشروط العقلية:

- انعدام التناقض الذهنى. - استيعاب جوانب الموضوع.
- غرضية أو غائية الفكر. - الترابطية والاستمرارية.
- القدرة على التعبير وتجسيد الفكر.

وهناك مجموعة من العوائق الفكرية التى تحول دون تحقيق الحرية النفسية وهى: -

- الإرهاق الذهنى. - التشتت الذهنى.

الشروط الوجدانية:

- الخلو من التناقض الوجدانى. - التحرر من ضغط المكبوتات اللاشعورية.
- التبلور الوجدانى السليم: إن العاطفة هى وجدان متبلور حول موضوع ما -

كائن ما يكن ـ ولكى يكون التبلور الوجدانى مؤديًا إلى الحرية النفسية فإنه يجب أن يكون حول محاور جيدة.

ـ القدرة على ممارسة الانضباط الانفعالى.

ـ الخبرات الوجدانية القديمة ومدى تأثيرها.

ولكن يمكن طرح هذا السؤال... هل هناك علاقة بين السعادة والحرية النفسية؟!..

لنرى كيف تتكون العلاقة بينهم.. حتى نستطيع الإجابة على هذا السؤال:

السعادة هى: الشعور بالرضا الداخلى وبالطمأنينة والتفاؤل بإزاء الحاضر وما سوف يتمخض عنه المستقبل من أحداث.

أو أنها: تحقيق التكامل النفسى والتكامل الاجتماعى. أو هى: محصلة عوامل عديدة كالصحة والكفاية من المال والإشباع العاطفى.

ومن هنا فإن العلاقة بين السعادة والحرية النفسية تمتاز بعدة نقاط هى:

١ ـ إن ما يبعث على الإحساس بالسعادة لا يكون بالضرورة متمشيًا مع المعايير الخلقية التى يحبذها المجتمع أو يجيزها، فلاعب القمار الذى ينتشى ويمتلىء قلبه بالسعادة بعد أن يربح المال الوفير فى لعبة القمار لا يكون مؤيدًا فى ضوء المعايير الخلقية السائدة بمجتمعه.

٢ ـ تختلف المجتمعات بعضها مع بعض بصدد المعايير الخلقية التى تقيس بها ما يمكن أن يثير السعادة فى القلب، فمن المجتمعات ما تحبذ اختلاط المراهقين من الجنسين وذلك لأن الاختلاط يعمل على إشاعة السعادة فى قلوبهم، ولكن من المجتمعات ما يفرض التحريم الكامل لأى نوع من الاختلاط أو إقامة أى علاقة بين الجنسين، مراهقين أو غيرهم.

٣ ـ تختلف القيم الأخلاقية باختلاف العمر وباختلاف الثقافة والمكانة الاجتماعية، فبالنسبة للعمر نلاحظ أن ما يشيع السعادة فى قلوب الأطفال مختلف عن ما يشيع السعادة فى قلوب المراهقين، وأيضًا مختلفة عند الشباب. وبالنسبة للثقافة فإن ما يشيع السعادة فى قلوب صفوة المثقفين قد لا يشيع السعادة فى قلوب عامة الشعب، والعكس صحيح.

وبالنسبة للمكانة الاجتماعية فنلاحظ أن المستويات الاجتماعية المتباينة تتباين فى تقييمها للأمور والحالات التى تبعث على الشعور بالسعادة، وإن ما ترضى عنه فئة لا يكون مجرد تباين فى التذوق بل يكون تباين فى تقييم الوسائل التى تبعث على الشعور بالسعادة أو لا تبعث على ذلك فتبادل التشاؤم بين العمال على سبيل الهزار، وما يحسون به من سعادة فى قذف بعضهم بعضًا بأغلظ الألفاظ أو حتى بالضرب لا يجد قبولًا عند غيرهم ممن لا يقعون فى الفئة الاجتماعية التى يقع فيها أولئك العمال.

ـ قد تتعارض سعادة فرد من أفراد الأسرة الواحدة مع سعادة باقى أفراد الأسرة ذاتهم.

مثال ذلك: الأسرة يرتبط بعضها ببعض برباط وجدانى، وفى ذات يوم قرر أحد أبناء الأسرة الهجرة إلى بلد بعيد: ذلك الابن يستشرف سعادته فى الهجرة بينما يحس والداه بالبؤس الشديد لأنهما سوف يحرمان من مشاهدة الابن طوال حياتهما فسعادتهما تتمثل فى بقاء الابن فى حضن الأسرة وهو يرى عكس ذلك.

ـ بعض التصرفات التى تبعث على إشاعة السعادة فى قلوب من تصدر عنهم قد تعتبر خارج نطاق الصحة النفسية.

ومن هنا نستخلص العلاقة بين السعادة والحرية النفسية هى:

١ ـ إن الشعور بالسعادة هو مرادف للإحساس بالحرية النفسية.

٢ ـ إن ما قد يحس به المرء من سعادة قد لا يعدو أن يكون محاولة للتخلص من الهموم، إن نشوة السعادة كثيرًا ما تكون مصحوبة بالرغبة فى البكاء.

٣ ـ قد يجد المرء سعادته فى طاعة الله والاندماج فى الصلاة والتقرب من العالم الروحانى الذى يعتبر أنه عالمه الحقيقى.

الحرية.. والعبودية:.

ماذا يقصد بالقول إن فلانًا من الناس حر؟ وما صلة الحرية بالعبودية؟ وهل يمكن للفرد أن يكون عبدًا وحرًا فى وقت واحد؟ بوسع المرء أن يكون حرًا من الناحية النفسية وعبدًا من الناحية الجسدية، والعكس صحيح تمامًا، فالحرية فى المقام الأول حرية نفسية ـ أى شعور نفسى بالحرية، وفى المقام النهائى حرية نفسية وجسدية.

من ناحية أخرى هناك حرية لا تتحقق إلا مع العبودية، ولكن ليس أى عبودية، إنما العبودية الاختيارية النابعة من صميم الفرد، من عقله ووجدانه (عبودية المؤمن لربه، والمحب للمحبوب)، لا العبودية القائمة على الإرغام والإكراه، إذًا فإن قدرة المرء على الاختيار والتنفيذ هى ما نسميه حرية، بهذا المعنى لدينا نوعان من العبودية، عبودية حرة، قائمة على الاختيار الحر، وأخرى مستعبدة قائمة على الاستبعاد القسرى فحسب، ومن ناحية أخرى يظل الإنسان حرًا طالما هو قادر على ممارسة حريته بوعى ومسئولية والتزام، وغير حر عندما يكون مجبرًا على القيام بفعل ما رغم إرادته.

من ناحية أخرى فإن الحديث عن الحرية فى جوهره، حديث عن الإرادة الحرة فالحرية ثمرة طبيعية للإرادة الحرة، إذ لا وجود للحرية فى ظل انعدام الإرادة الحرة، والإرادة الحرة: ملكة عقلية ونفسية، وهى هبة عامة لجميع البشر، أما إضعافها أو تعطيلها عن العمل أو فقدانها، فمسئولية الفرد نفسية فى المقام الأول،

دون إغفال لأثر العوامل الخارجية فى ذلك. على أية حال تظل حرية الإنسان محدودة بالإمكانات القابلة للتحقق من قبل الإنسان ذاته، فلا وجود للحرية المطلقة إلا لدى الله سبحانه وتعالى، فالله وحده يمتلك هذا النوع من الحرية، بسبب امتلاكه القدرة المطلقة القادرة على فعل أى شىء والإنسان فى العصر الحاضر ذو حرية مقيدة فهو ليس حرًا حرية مطلقة بل هو مقيد بالضوابط الدينية والاجتماعية. إذ أن الحرية المطلقة تحول الحياة إلى فوضى، وفى جو الفوضى تنعدم الحريات كل الحريات، بل يتحول المجتمع إلى غابة يضيع فيها حق الناس. والإنسان فى العصر الحاضر إرادته وحريته مقيدة فى العمل ومواعيدة ونظمة ولوائحه وقوانينه، وهو مرتبط بمجتمعه وبرفاهية المجتمع وضميره، بل أنه ملتزم ومنضبط بنمط الحياة ونظامها فى ذلك المجتمع، ومع ذلك فهو لا يعتبر ذلك من القيود التى تكبل حريته وإرادته وتجعله غير قادر على السير فى دروب الحياة. وضبط الذات وكبح جماح الشهوات والالتزام نحو الذات والمجتمع لا يتعارض أو يتناقض مع الإرادة الجارفة والحرية المطلقة، وضبط الذات هو السبيل إلى الإرادة الصلبة، بينما عدم القدرة على الالتزام نحو الذات ونحو المجتمع يعد من الإرادة الهشة الضعيفة إذا نجم عن ذلك الاختلال والاضطراب فى السلوك. وضبط الذات يضمن التوافق مع الآخرين والحصول على المأكل والمشرب وغير ذلك من ضروريات الحياة.

والخروج عن الالتزام وعدم القدرة على ضبط جوامح النفس يظهر حاجة الإنسان إلى غير جماعته ومجتمعه للحصول على سد احتياجاته وعندئذ قد يخضع الإنسان ويستزل من هذا الغير الذى بمقدوره أن يعطيه أو يحرمه.

أليس هذا إذلال وخضوع لغير الله، أليس فى هذا قيد للحرية وإخضاعها لمن هو دون الله؟ لذلك فالحرية أساسها نفسى وهى مسألة نسبية

وليست مطلقة يستشعرها الإنسان حتى لو كانت القيود والأغلال تثقل كاهلة، ويحس بفقدانها حتى وهو طليق لا يثقله قيدًا أو حتى وهو رئيس وليس مرءوس. من هذا المنطلق فإن العبودية لله تعد قمة التحرر الإنسانى لأن هذه العبودية لله إذا كانت من قلب عامر بالإيمان فإنها تدفع الإنسان إلى التحرر من كل حاجات الدنيا وزينتها.

هل الحرية تعنى الانطلاق من كل قيد...؟

لا يعنى بطبيعة الحال إقرار الدين للحرية إنه أطلقها من كل قيد وضابط، لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى التى يثيرها الهوى والشهوة، ومن المعلوم أن الهوى يدمر الإنسان أكثر مما يبنيه، والإسلام ينظر للإنسان على أنه مدنى بطبعه، يعيش بين كثير من بنى جنسه، فلم يقر لأحد بحرية دون آخر، ولكنه أعطى لكل واحد منهم حريته كيفما كان، سواء كان فردًا أو جماعة، ولذلك وضع قيودًا ضرورية تضمن حرية الجميع وتتمثل هذه الضوابط فى الآتى:

أ ـ لا تؤدى حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام.

ب ـ ألا تؤدى حريته إلى الإضرار بحرية الآخرين.

الحرية.. والمعرفة:

الحرية هى ذلك الفعل الواعى الذى يتحقق مع الإنسان باستمرار فبقدر ما يمتلك الإنسان من العلم والمعرفة بقدر ما يكتشف القيود وبقدر ما يعمل على تجاوز هذه القيود ما يحقق حريته، فالحرية من أهم المكاسب التى حققها الإنسان عبر كفاحه الطويل والتى علينا المحافظة على قدسيتها وشموليتها، فالإنسان مسئول عن أفعاله مع النظر إلى الأسباب، فمهما يكن فيجب أن يسعى الإنسان إلى تحقيق مجتمع فاضل وهذا ما يوضح إنسانية الإنسان وحريته، فالحرية درجات

حيث تبدأ من أبسط السلوكيات، ولكن بعض الأفراد لا يعطى أهمية لهذه السلوكيات البسيطة. فالمعرفة التى يتمتع بها الإنسان هى التى تعطى له الحرية. فلا يجب تحت أى ظرف من الظروف أن تحتكر هذه المعرفة لكى يحقق الفرد حريته الكاملة حيث يكون بالجهل لا يمكن للحرية أن تكون.

إن من أهم ما يواجه عالمنا اليوم: هو مصادرة إرادة الإنسان وكبت حريته المشروعة، الحرية المسئولة التى لا تنفك عن الالتزام والمسئولية ولكى تنهض الأمة، فهى بحاجة إلى الحرية بحاجة إلى حرية الفكر بحاجة إلى أن يحرر العقل من الإرهاب الفكرى وليسح أمامه المجال واسعًا لينطلق وليفكر وليبدع وليمارس دوره الملتزم فى مجال المعرفة وتشخيص المسار، فإن الإنسان المكبوت الحرية هو إنسان مشلول القدرة والإرادة ولا يستطيع أن يوظف طاقاته وإمكاناته.

إن محنة بعض شعوب العالم فى الدرجة الأولى هى مصادرة حرية الإنسان وسحق إرادته وتسليط الاستعباد والكبت الفكرى والسياسى عليه. إن أصحاب الفكر ودعاة الإصلاح يعانون من القتل والإعدام السياسى وحالات التعذيب الوحشية والزج فى السجون والهجرات والتشريد. لقد انطلق الإسلام مع الإنسان الحر فوهبه حرية الفكر وحرية السلوك وحرية التملك وحرية العمل والحرية السياسية غير أنه ربط بين الحرية والالتزام والمسئولية.

الحرية.. والصحافة:

الحديث عن حرية الصحافة لا يمكن أن يجرى بمعزل عن الحريات الأخرى. لأن حرية الصحافة لا يمكن أن تنعزل عن تحرير المواطنين من اليد التى تقيض على زمام رزقه ومستقبله كما لا يمكن أن تنعزل عن تحرير المواطنين من الخوف ومن القلق على غده... كما أن الجمود الذى قد يصيب حركة المجتمع فى كافة نواحيه لابد وأن يمتد أثره إلى الصحافة والرأى.

والصحافة لا يمكنها أن تمارس حريتها إلا فى ظل مفهوم متكامل للحرية. ولا يمكن مثلا أن نتصور صحافة حرة فى ظل مجلس نيابى مقيد أو فى ظل قضاء غير مستقل، ذلك أن قضايا الحرية متصلة اتصالًا وثيقا بطبيعة النظام السياسى وهو مرتبط بالنظام الاقتصادى والاجتماعى.

الحرية.. والتربية:

يقول الأستاذ الأمريكى الدكتور Dr. J.B.J (أبو الحسن الندوى فى كتاب التربية والحرية Education and Liberty) إن عملية التربية ليست تعاطى وبيع وشراء وليس بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل، إننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية).

إن التربية فى نظر هؤلاء القادة الذين يعارون على شخصية وذاتية بلادهم ولباسهم يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية وتقاليدها الموروثة وآدابها المفضلة وأهدافها التى تعيش بها، وتموت فى سبيلها: إنه لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها وبنيتها التى تعيش فيها والآداب والعادات التى تحتضنها والتاريخ الذى تغار عليه والنماذج والمثل العليا التى تعشقها. ونحن العرب والمسلمين أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية وشخصيتنا الإسلامية ورسالتنا الإنسانية فى كل ما نأخذ وما ندع وفى كل ما بقى ونهدم فى كل ما نقتبس ونتلقى من أى شعب وبلد فى العالم، فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية والتعليم والمناهج الدراسية والموارد العلمية على قامتنا وأن نخضعها أكثر من أى أمة وشعب لمبادئنا وأهدافنا التى نعيش لها والرسالة التى أكرمنا الله بها وكلفنا إبلاغها إلى الإنسانية كلها فى كل عصر بقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ فيجب أن لا نتناول العلوم والآداب والمناهج التعليمية ونظريات التربية التى ظهرت فى الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشرى، وأنها شىء يتحتم على الأمم الشرقية أخذه وتطبيقه على علاته وطبائعه وعلى ما التصق به من عناصر محلية، بل نأخذها على أنها تجارب بشر يخطىء ويصيب ويمشى ويتعثر ويبصر ويعمى، ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء قد بلغت نهايتها وختم عليها بختم لا يتغير، بل نأخذها على أنها مواد خاصة ونضع منها ما تشاء وفق حالتنا وحاجتنا ونفرغها فى قالبنا ونجردها مما اقترن بها فى غير لزوم ولا مبرر من عوامل الاستخفاف بالقيم الخلقية، ونأخذها صافية مهذبة، بل نطعمها بالإيمان بالله والنظر العميق المؤسس على الإيمان.

وهكذا نجعل العلوم والدراسات كلها فى غير تعسف وسيلة للعلوم والحكمة وسبيلًا إلى الإيمان والمعرفة فتكون مصدقًا لقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾.

ولم تعد التربية والتعليم غاية فى الأمم التى بلغت من الرشد واستكملت الوعى وتحررت من رق العبودية والتقليد الأعمى، بل أصبحت وسيلة، وقد كان العلم فى دور طفولته العقلية ينظر إلى أشياء كثيرة على أنها غاية وهدف ثم أصبح كل ذلك مع تقدم العقل البشرى والتجارب وسيلة لغاية.

فلا غرابة إذا كان قد نظر إلى التربية والتعليم وإلى المدارس ومراكز الثقافة والمكتبات ودور النشر باعتبارها غاية. لا تزال هذه العقلية الطفولية شائعة مسيطرة فى الشرق، فنحن إذا علمنا بأننا قد أدينا الرسالة وحققنا الغاية ولكن الغرب الذى اهتم بالتعليم أكبر اهتمام وحمل رايته خفاقة فى العصر الأخير

واشتهرت أكثر دولة وأفكاره بالعلمانية وبالحياد تارة وبالإلحاد تارة أخرى لم يعد ينظر إلى النظام التعليمى وإلى المناهج التعليمية حيث هى آلات جهاد لتعليم القراءة والكتابة وتحصيل المعلومات من خبرة وارتبطت بينهما وحدة ولا تجمع بينهما غاية، ولا يسيطر عليها إيمان وعقيدة ولا تصل الجيل الحاضر بالماضى والأبناء والآباء، بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر إلى النظام التعليمى من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضى والخلف بالسلف والمعلومات بالعقائد وتدعم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق والدليل والحجة.

ويعتبر هذا النظام التعليمى الذى يتفق عليه أكبر جزء من ثروته لأعظم قسط من مجهوده وأوفر نصيب من ذكائه عملية بناء وتكوين لا عملية هدم، ووسيلة ثقة بين الأفراد، ورباطًا بين الجماعات لا وسيلة ثورة فى الأفكار واضطراب فى النفوذ وتفكك فى العرف والقوة.

حرية التعليم تحرم منها "نجوى الملهى" بإسبانيا بسبب حجابها ووزارتا العدل والتربية الإسبانية تطالبان باحترام الحرية الدينية

منعت إحدى المدارس الثانوية ببلدة بوثويلو دى ألاركون وهى قريبة من العاصمة الإسبانية مدريد، إحدى تلميذاتها وهى مغربية ذات ١٦ ربيعًا من مواصلة دراستها بالثانوية، بسبب ارتدائها الحجاب بحجة أن القوانين الداخلية التابعة للمؤسسة تمنع التلاميذ منعًا كليًّا من ارتداء شىء على الرأس أثناء الدراسة وذلك داخل الفصول الدراسية والأقسام.

وقد أثارت هذه القضية ضجة فى الوسائل الإعلامية بالمغرب وبإسبانيا لأنها تعتبر انتهاكا لحقوق الإنسان وهى الحق فى التعليم والحق فى العقيدة والدين. كما نقلت مختلف المنابر الإعلامية الإسبانية عن وزارة العدل أنه "لا يوجد قانون يمنع التلميذات من ارتداء الحجاب، وأن الحق فى التعليم فى ظروف كريمة يجب

أن يسود على أى اعتبارات أخرى..." مؤكدة بأن الحرية الدينية يكفلها الدستور الإسبانى، وأن ارتداء الفتاة للحجاب فى مدرسة عمومية، لا يسىء بشكل من الأشكال إلى حقوق الآخرين وحرياتهم الأساسية ولا يخالف النظام العام، تؤكد وزارة العدل على ضرورة احترام المعتقدات الدينية للجميع، لكنها أبرزت فى الوقت نفسه أنها تحترم استقلالية المراكز التربوية فى اختيار معايير التعايش، وفى المقابل نقلت الصحافة الإسبانية من مصادر مطلعة عن وزارة التربية الإسبانية أن الحق فى التعليم ينبغى أن يسود فى هذا النوع من القضايا وذلك فى انتظار قانون الحرية الدينية الذى يتم إعداده حاليًا من قبل الحكومة.

ومن جهتها فقد استنكرت جمعية العمال المهاجرين المغاربة فى إسبانيا "أتيمى" عن الظلم الذى تعرضت له الطالبة نجوى بانتهاك حق من حقوقها فى التعليم والحرية الدينية، وبذلك طالبت الجمعية الإدارة المكلفة بالتربية بالحكومة المستقلة لمدريد، بالتدخل السريع لتسوية وضعية نجوى واستئنافها لدراستها الثانوية وعودتها لمقاعد الدراسة، وفى هذا الصدد طالبت الجمعية إدارة الثانوية بتحمل كافة العواقب جراء تصرفها إزاء نجوى وتحمل كافة المسئولية، والعمل بشكل فورى لإعادة نجوى إلى مقاعد الدراسة، وذلك لأن الحق فى التربية الذى يكفله الدستور يسمو على القوانين الداخلية لهذه المؤسسة.

الحرية.. والشباب:

قد يفهم البعض الحرية بأنها التسيب والخروج عن النظم والتقاليد أو الانفتاح بأساليب سلوكية شاذة، أو اتخاذ هيئة مختلفة لما اعتاد الناس رؤيته، أو التفوه بآراء غريبة والامعان فى التعريض بالأوضاع القائمة والقيم السائدة والتقاليد الشائعة. ولكننا نفهم الحرية بمعنى أخر نرى أنه المعنى الحقيقى الواجب الاتباع والمعنى الذى نفهمه من حرية الشباب الحقيقية هو تحرير الطاقات والاستعدادات

والمواهب وتوفير الفرص الكافية لها لكى تصير من صميم حياة الشباب. فتحرر البذرة ليس فى تركها بعيدًا عن التربة، بل يتم تحريرها بإطلاق مقوماتها من حيز الكمون إلى حيز الواقع الحى، وذلك بغرسها فى التربة ثم توفير العوامل اللازمة للإنبات بحيث تتحول من بذور إلى نبات بازغ. ولدى الإنسان مجموعة ضخمة جدًا من المورثات الكامنة فى مقوماته الدفينة.

ولا يمكن اعتبار الشاب متمتعًا بالحرية إلا إذا توفرت له الظروف الكافية لتحويل ما لديه من حالة كمون إلى مهارات أو قدرات يستطيع السيطرة عليها والتمكن منها وإعمال عقله فيها، فالحرية لا تأتى إلا بالسيطرة على الاستعدادات وجعلها إمكانيات تشتغل بجدارة وكفاءة والإفادة منها فى مواقف الحياة العملية. ـ والواقع أننا فى التربية نسلك أو الواجب علينا أن نسلك طريقين أساسين أو مرحلتين أساسيتين هما:

المرحلة الأولى: مرحلة إخضاع الأبناء لقوالب نصوغهم وفقها.

والمرحلة الثانية: مرحلة التعبير الذاتى وإبداء الطابع الشخصى للفرد.

ومن المربين من يعتقد أن الواجب هو البدء بإعطاء الفرصة للطفل لكى يعبر عن ذاتيته من البداية، يجبره على اتباع طريق نكون قد حددنا خطوته وتفصيلاته له بطريقة مسبقة... كما أن هؤلاء المربون يعترضون على التربية التى تعتمد على تشكيل الأبناء وفق نماذج أو أساليب محدودة. ويطالبون بترك كل فرد يسلك طريقه فى الحياة، ويكتسب من الخبرات ما يتناسب مع خصائصه الشخصية، وألا نرغم أحد على أن يتقبل خبره لا تتناسب مع استعداداته.

إن أكثر المتحمسين للتلقائية فى التربية يؤكدون على بعض الأمور التى ينبغى تدريب الطفل على الأخذ بها فى سلوكه مثالًا لذلك النظافة فلاشك أن الأم والأب والقائمين على شئون الطفل مسئولون بشكل مباشر عن تعليم الطفل

حب النظافة وليس من أحد يطالب الأسرة بترك الطفل حرًا إزاء نظافة جسمه أو نظافة الأشياء التى يستخدمها ولم يقل أحد أن تعويد الطفل النظافة فيه إفساد لحريته الشخصية أو فيه انتقاص من كيانة الشخصى الحر. الشىء نفسه ينطبق على كثير من الأشياء التى تقوم بتعليمها للأطفال والشباب فبعض الأطفال لا يحبون الذهاب إلى المدرسة ولا الانتظام فى الدراسة بل يفضلون البقاء فى البيت.

وإذا ظل الآباء والأمهات مراعين لما يعتقدون أنه حرية، فإن أبنائهم سوف يفشلون فى حياتهم كلها. وبعض الأطفال لا يرغبون فى مذاكرة مادة كالحساب مثلًا، ويبدون كراهيتهم لها ولكن المدرسة تجبرهم على التعلم. يقول برتراند رسل الفليسوف الإنجليزى أنه حاول مع أحد أبنائه عندما كان صغيرًا بالنزول إلى البحر للعوم معه ولكن الطفل ظل يرفض النزول إلى البحر و استمساكا بالشاطىء فأصر الأب إلى حمله عنوة إلى الماء فصرخ، ثم أخذ يضحك بعد أن أزال عنه همه ووجد أن السباحة لذيذة وأن والده سينجده إذا داهمه الخطر الموهوم.

فالشخص يمر إذن فى مرحلة الاكتساب والتقليد والتعلم عن الآخرين، ثم يتلو هذا مرحلة أخرى هى مرحلة التعبير عن الذات الحقيقية وإبداء ما تأصل فى الشخصية من مقومات غير أن هذا لا يعنى أننا ننادى بعدم تشجيع الأصالة والتعبير الذاتى خلال الطفولة والشباب إن اعتقادنا هو أن الصفة السائدة بعدها يجب أن تكون التعبير عن الذات والابتكار والأصالة.

ومعنى هذا إذن أن الحرية بمثابة نمو فى الشخصية فكلما ازداد نمو الشخصية ازدادت قدرة الفرد على اكتساب الحرية. ونستطيع القول بأن الإنسان فى الشيخوخة حيث ينعكس النمو وتصاب أجهزة الجسم بالسقم والضمور يأخذ

بالتالى فى فقد حريته ويكون بحاجة إلى من يساعده فى كل خطوة من خطوات حياته وما الذى ينبغى أن يعمله.

ولا يخفى أن للشخصية الإنسانية أربع زوايا يمكن أن ينظر إليها منها: **الزاوية الأولى** زاوية الجسم، **والزاوية الثانية** زاوية الوجدان، الزاوية الثالثة هى زاوية العقل، **والزاوية الرابعة** هى زاوية القوام الاجتماعى بالشخصية. ولقد يظهر فى بعض الشخصيات أن جانبًا من هذه الجوانب الأربعة قد نما نموًا حسنًا، بينما ظل جانب منها فى حالة ضمور، أو لم يتم النمو السوى فلقد نجد شخصية موفورة الصحة ولكنها ناقصة النمو فى الناحية الوجدانية أو الناحية العقلية أو الناحية الإجتماعية ولا نستطيع أن نجد شخصية نامية فى جميع هذه النواحى الأربع بالدرجة نفسها أو بالسرعة نفسها، ومعنى هذا أن الشخصية لا تحظى بالحريات الأربع مع نمو الجسم ونمو الوجدان ونمو الحس الاجتماعى بالقدر نفسه.

الحرية الشخصية عند الشباب: بين الواقع والواجب:

يرغب الشباب بشكل طبيعى فى التمتع بالاستقلال والحرية فى شئونهم الخاصة ويعتبرون ذلك من أقصر الطرق إلى توكيد الذات، وإثبات الشخصية، والشعور بالوصول إلى مرحلة الشباب وتجاوزه حالة الاعتماد والانقياد للعائلة والأسرة.

ومن المظاهر التى تبرز على جيل الشباب لتحقيق الاستقلال والتحرر: الخروج من الآداب والعادات والتقاليد الموروثة من الأجيال السابقة، وعدم طاعة الأوامر والنواهى الصادرة من الوالدين أو المربين، والظهور بمظهر الكبار واستخدام الخشونة والقوة للحصول على الرغبات والحاجات، وممارسة العناد تجاه الأشياء المختلف عليها إلى غير ذلك من المظاهر التى تظهر

بوضوح على المراهقين والشباب للتعبير عن الرغبة فى الاستقلال والتحرر من كل القيود والضوابط العائلية والاجتماعية، والرغبة فى الاستقلال عن العائلة قد يكون إيجابيًّا، فيما إذا كان يساعد على اعتماد الشاب على ذاته، وفى تنمية الثقة بنفسه وتوكيد شخصيته، وقد يكون سلبيًّا؟ فيما إذا كان مظهرًا من مظاهر الغرور والعجب الزائد بالذات وعدم احترام الوالدين أو المربين والمعلمين وعدم الاهتمام بالآخرين والتمرد على كل القيم والضوابط الاجتماعية والأخلاقية.

كما أن النزوع إلى التحرر والحرية قد يكون مقيدًا إذا كان منطلقًا من الحرية الموجهة وليس المطلقة بحيث يساهم التحرر من القيود الخاطئة فى تنمية الإبداع والابتكار عند الشباب الطموح، وتنمى البناء العلمى والثقافى والفكرى.

كما أن الحرية فى إطار الضوابط تساهم فى تنمية الشخصية الإنسانية للشباب، أما إذا كانت الرغبة فى التحرر والحرية يعنى الحرية المطلقة من دون أية قيود وضوابط فلاشك أن مثل هذه الحرية لها مخاطر وآثار سلبية وتدميرية للأفراد والمجتمعات.

ومن الميول الحادة التى تستيقظ بشدة عند الشباب لدى بلوغهم هذه المرحلة وتجذبهم وتسلب قلوبهم هى رغبة الحرية، وأية حرية؟ ليست الحرية المعتدلة المعقولة بل الحرية المتطرفة والحادة.

إن بعض الشباب بطبعة يريد الحرية المطلقة بلا أى قيد أو شرط وفى رأيه أن الحديث عن العقل والمنطق؛ وعن القانون؛ وعن المصلحة، وهو أمر لا قيمة له والشىء الذى يرغب به الشباب ويطلبه حثيثًا باندفاع وشوق هو الإشباع للغرائز والتمتع المطلق فى نيل الرغبات النفسية، ولا يمكن بلوغ هذا الهدف إلا بالحرية

اللامحدودة والمطلقة؛ لهذا قيل أن الشباب مرحلة الاندفاع، والكهولة مرحلة الاعتدال، والشيخوخة مرحلة الالتزام.

وإذا كان الكبت والخشونة والقوة من الأساليب التربوية الخاطئة فى التعامل مع الأولاد والأبناء (جيل الشباب) فإن من الخطأ أيضًا إطلاق العنان للأولاد باسم الحرية؛ لأن مثل هذه الحرية المطلقة تعنى الفوضى والوقوع فى الرذائل والموبقات، والأخطر أن تقع مثل هذه الأعمال تحت مسمى الحرية والاستقلال والشخصية، والتعبير عن الذات.

والمطلوب تنمية الرغبة فى الاستقلال والتحرر عند جيل الشباب ولكن ضمن الضوابط والقيود الشرعية والأخلاقية والاجتماعية.

كما أن من الضرورى ترشيد توجهات الشباب بحيث تكون باتجاه الحق والخير والصلاح وأن يكون مفهوم الاستقلال والتحرر عند الشباب يعنى الاعتماد على الذات، وبناء الشخصية واستثمار المواهب والقدرات والإمكانات فى البناء والعطاء والإنتاج بما يعود بالنفع والفائدة على الأفراد وكذلك على المجتمع ومسيرة الأمة نحو التقدم والتطور والتحضر.

ومن المهم للآباء تفهم متطلبات الشباب وفقًا لمتغيرات العصر وإعطاء المزيد من الاستقلالية والحرية للشباب فى شئونهم الخاصة والعامة؛ خصوصًا مع ظهور الصلاح والاستقامة فى مسيرتهم الحياتية مع الترشيد والمراقبة الواعية وتقديم النصح والإرشاد والبعد عن أساليب الخشونة والمعاملة القاسية معهم وكثيرًا ما يؤدى عدم تفهم جيل الآباء إلى متغيرات الزمان، ومتطلبات الأولاد، وضرورات الحياة المعاصرة إلى الصراع والنزاع بين الأولاد والآباء، ولذلك نجد فى المجتمع تزايد حالة الصدام والقطيعة بين أفراد العائلة الواحدة بين الأبناء وآبائهم، والفتيات وأمهاتهن، وغالبًا ما يكون السبب هو الخلاف فى الرؤية والنظرة إلى

الأمور والأشياء وقد يكون الخطأ من الأولاد (الشباب) أو (الآباء) (الشيوخ) أو من كليهما معًا.

ولمعالجة تلك المشكلة يجب أن يتفهم كل جيل متطلبات رؤى الجيل الآخر، حتى لا يقع التصادم والتقاطع وحتى يحل الاحترام والتقدير محل النزاع والصراع كما أنه من الواجب أن يحترم الأولاد آبائهم وأمهاتهم وأن يستفيدوا من تجاربهم الحياتية وعلى الآباء أن ينموا فى أولادهم الثقة بالنفس والاعتماد على الذات. وألا يقفوا حجر عثرة أمام الرغبة الطبيعية إلى الاستقلالية والحرية الشخصية فى إطار الضوابط الشرعية والأخلاقية؛ ولكن من المهم أن يتوافق ذلك مع الترشيد والنصح والمراقبة والتوجيه، وقبل كل ذلك زرع الإيمان فى أعماق قلوبهم فهو خير ضمان للاستقامة فى طريق الخير والحق والصلاح.

وللأسف هناك إلى الآن بعض الأسر تعتمد على أساليب الدكتاتورية وطرق المعاملة المتشددة مما أثر على الشباب فحرمهم من الجرأة والقدرة على التعبير والتصرف بحرية.

. الحرية ودور الأسرة فى بناء الشخصية السوية للأبناء:

يلعب المناخ الأسرى دورًا مهمًا فى تنمية قدرات الطفل حيث يحقق المناخ الملائم أهم مطالب النمو النفسى والاجتماعى وأن الطفل فى ظل هذا المناخ يتعلم التفاعل الاجتماعى ويتعلم المشاركة فى الحياة اليومية كذلك يتعلم ممارسة الاستقلال الشخصى، والطفل نجده متأثرًا بالأسرة، حيث تمثل الأسرة الوسيط الذى ينقل كافة المعالم والمهارات والاتجاهات التى تسود المجتمع بعد أن تترجم إلى أساليب عملية فى تنشئة الأبناء، متمثلة فى توفير المجال الكافى لهم لمتابعة ميولهم وهواياتهم ومناقشتهم فى الموضوعات

التى تهمهم وتشجعهم على الاطلاع، إن هذه الممارسات تساهم بشكل إيجابى فى رعاية وتشجيع الإبداع.

وعلى الأسرة مراعاه الآتى حتى تغرس الحرية لدى الأبناء (الحر ـ فى التفكير والسلوك):

ـ توفير المناخ التربوى السليم لتنشئة الأبناء ويعتبر المناخ الإيمانى الذى يطبق معانى الشورى والحرية المقننة هو أفضل بيئه ينشىء فيها الأبناء تنشئة سليمة وأن تحترم فيهم حب الاستقلال.

ـ ترك الطفل يتأمل الطبيعة ويبحث عن أسباب بعض الاختراعات.

ـ ترك الطفل يبحث عن الفكرة الجديدة فى غير أماكنها المعتادة.

ـ عود ابنك على تغيير عاداته اليومية حتى لا يقع أسير للعادة ولا يحب التغيير أبدًا.

ـ لا تعود ابنك أن يحصر نفسه فى إجابة واحدة للسؤال بل يعدد لإجابته.

ـ حاول أن تسأل ابنك عن أى شىء بصيغ مختلفة وليس بصيغة واحدة.

ـ عدم التحقير وعدم السخرية من جهود الطفل ومحاولاته الأولى؛ بل لا بد من التعاطف مع هذه المحاولات حتى وإن بدت فاشلة.

ـ التعود على زيارة الأماكن الغريبة كقمة جبل أو قمة الهرم أو معرض الأشياء الغريبة.

ـ تجنب نقد طفلك ولومه كثيرًا وإن كان لابد فليكن قليلًا وبأسلوب غير مباشر.

ـ لا ترفض أى فكرة لابنك ولكن إخرجها عن سلبياته.

الفتاة بين الحرية والرقابة الأسرية:

نطرح فى البداية عددًا من الأسئلة الهامة وهى:

الرقابة الأسرية إلى أين؟ هل هى موجودة؟ أم غابت بلا عودة؟ وما الأسباب؟

يقول البعض أن الرقابة الأسرية موجودة غائبة، ولا يقصد بهذا الكلام المعنى التقليدى الذى يصنف الأسر إلى قسمين هما: أسرة تحمل همًا لهذا الأمر، وأسرة لا تقيم لهذا الجانب وزنًا، فهذا التقسيم وإن كان له وجود على أرض الواقع لا يجوز إنكاره، ولكنه ليس بذات الكثرة التى تجعلنا نبنى عليه نظام حياتنا ودراساتنا، يؤكد ذلك أنه حتى الأسر التى تركت الحبل على الغارب لأبنائها وبناتها يظنون أن هذه هى التربية السليمة الصحيحة، لذا يرى البعض أن التقسيم ينبغى أن ينطلق من شقين هما: الأول: أسرة علمت واستشعرت جانب الرقابة استشعارًا حقيقيًّا تصورًا ومعالجة، فعالجت هذا الأمر من أسس وأصول ومنطلقات سليمة فجاءت النتائج متوازنة مع هذا التصور السليم ولذا كان تعريف العلم هو: إدراك الشىء على ما هو عليه حقيقة.

أما الثانى: فهى أسرة انطلقت من منطلقات خاطئة. فظنت أن التربية السليمة هى إعطاء الحرية كاملة للأولاد مع عدم مراقبتها ومن هنا حدث الخلل فما أسبابه؟

. متى تكون الرقابة قيداً؟ ومتى تكون مجال مفتوح للحرية؟

تكون الرقابة قيدًا إذا أصبحت كالقيد فى رقاب الأولاد وتكون كذلك، إذا انطلقت تربيتنا لأبنائنا على أنهم تحت المجهر فى كل تصرف يتصرفونه. والأمثلة على ذلك كثيرة وذلك من خلال صورة ذلك الأب الذى استشعر أمانته فى حفظ بناته من اللصوص والذئاب وهذا حق يجب على الوالدين أن يستشعراه لكن أن يكون الحل من وجهة نظر البعض بالتجسس على البنات من خلال وضع أجهزة لتسجيل المكالمات فهذه هى الرقابة الخاطئة؛ فالمعانى الفاضلة والتربية الحقة لا تكون من خلال أساليب وطرق خاطئة فى التربية.

وفى ظل الانفتاح الفكرى والثقافى والهيمنة الإعلامية على الشباب من كل جانب قد تجد الرقابة طريقًا مسدودًا معها..... فكيف نصل بالشباب إلى القناعة أن للحرية حدود؟

نستطيع أن نصل بالأبناء إلى إقناعهم أن للحرية حينما نغرس فى أنفسهم أن الغاية التى من أجلها خلق الإنسان هى عبادة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ نحتاج إلى إقناع الأبناء وتربيتهم على أن الإنسان لا يملك التصرف المطلق فى نفسه وفى شئون حياته وفى معاملاته مع الأخرين، وإنما هذه الأشياء محكومة بضوابط لا يجوز التعدى عليها.

دورالأب والأم فى تعليم أبنائهم مفهوم الحرية :

فى سن المراهقة أى ما بعد مرحلة البلوغ.

ـ فى هذه المرحلة تبدأ شخصيات الأبناء فى الاستقلالية ومحاولة إثبات الذات وتتذبذب سلطة الآباء على الأبناء ويزداد تأثيرات العلاقات الثنائية بين الذكور والإناث وتبرز الصفات الشخصية التى تميز كل واحد من الأبناء عن غيره يصبح قدراته الخاصة تميزه عن غيره بصفة مؤثرة.

ويتمتع الذكور فى هذه المرحلة بقدر كبير من الحرية بينما تكون مراقبة البنات ومتابعتهم هى الصفة الغالبة فى المجتمعات العربية فى هذه المرحلة.

وتختلف المجتمعات الغربية اختلافًا تامًا فى هذه المرحلة عن المجتمعات العربية خصوصًا فى مدى الحرية المعطاة للبنات فى علاقتهم بالجنس الآخر مما ينتج عنه كثيرًا من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية (كثرة حالات الحمل غير الشرعى وحالات الانتحار) ناتجة عن تلك الحرية. والإسلام قد قنن الحرية المعطاة للبنت فى تلك الفترة فهو قد أكد على بناء شخصيتها القوية الذكية الفعالة

المؤمنة، ومن جهة أخرى حماها من اعتداء الآخرين عليها وأمرها بالعفة والوفاء والحجاب، ولم يمنع الدين والشريعة الفتاة من القيام بالعلاقات الاجتماعية مع الأقارب وفى المؤسسات ما دام تحافظ على الخلق فيجب على الآباء والأمهات أن يهتموا بأولادهم خصوصًا فى هذا السن، وأن يقوموا بتقوية الجانب الدينى لديهم ويعلموهم الحرية ولكن فى نطاق الحفاظ على الوقار واحترام القيم الدينية.

كيف يرى بعض أفراد المجتمع الحرية؟

ورد فى أحد المواقع عددًا من الحوارات توضح كيف يرى بعض أفراد المجتمع الحرية نعرض بعضها فيما يلى: ـ

ـ لمى يوسف ٢٢ سنة (سنة خامسة) إرشاد نفسى: تقول الحرية بالنسبة لى تكمن فى حرية التصرف مثل الحرية فى اختيار الأصدقاء دون شروط الأهل اللامتناهية والخروج معهم إلى المطاعم مثلًا دون مرافقتهم لنا أو إجبارنا على اصطحاب إخوتنا الشباب معنا بغرض حمايتنا والحرية فى اختيار الملابس وبرامج التليفزيون التى نحبها وحرية استخدام الإنترنت دون مراقبة أو شكوك.

وما يخلق مشكلات فى هذا الموضوع هو اختلاف مفهوم الحرية بين جيلين جيل الأهل وجيل الأبناء فما نضعه تحت اسم الحرية يقابل بمصطلحاتهم تتغير مع الزمن. فما يرونه غير مقبول الآن قد يصبح عاديًا جدًّا لاحقًا.

وكمثال على صعيد شخصى عندما أخبرت أهلى أننى سأذهب لمقهى إنترنت كانوا كمن فقد عقله لاعتقادهم أنه مقهى أو ديسكو مثلًا. وطبعًا كانت النتيجة الرفض.

أنا لا أعتبر نفسى حرة بل أعيش مقيدة بقيود فرضها علينا الأهل والمجتمع.

ـ يسرا يوسف (١٩ سنة) (سنة ثانية آداب إنجليزى) تقول: الحرية شىء جميل، ولكنها غابت عنى فترة من الزمن تمنيت حينها لو أنى لم أخلق فالحرية بمنظورى حق مقدس؛ ولكن لكى تكتسب الحرية قدسيتها لابد من أن نفهمها بشكل واضح ودقيق والحرية ليست مطلقة. أنا لست حرة لأنى أحسب ألف حساب لأى تصرف أقوم به لكى لا ينتقدنى أحد من أهلى أو المجتمع.

ـ حسام على ٣٠ سنة موظف يقول:

الحرية شىء ثمين، لنحصل عليها يجب أن نفهم معناها الحقيقى. أنا أشعر بأنى حر أستطيع أن أفعل ما أريد ولكن هذا لا يعنى أن تجاوز الخطوط الحمراء.

فالحرية مسئولية كبيرة، علينا أن نكون أهلًا لحملها.

ـ وفاء أسعد ٣٠ سنة معلمة تقول:

لا أعتقد أنى كنت فى مرحلة من مراحل عمرى حرة بشكل مطلق، فتارة أحكام وقوانين الأهل وعاداتهم الموروثة، وتارة أحكام المجتمع. يلى ذلك حكم الزوج الذى ساعده فى ذلك مجتمع ذكورى يسمح للزوج مالا يسمح للزوجة.

ـ أميرة سلطان ٤٠ سنة (معلمة) تقول:

إن الحرية هى الحياة، والحياة دون حرية لا معنى لها، ولكن للحرية حدود ولا يمكن تجاوزها عندما تضر بالآخرين. أحب حرية الفكر، وأتمنى أن يتمتع بها أى فرد من أفراد المجتمع ولا سيما الرجل الذى كثيرًا ما يظلم المرأة عندما لا يعى مفهوم الحرية الصحيح.

الحرية.. والمرأة:

تمثل المرأة موضوعًا دسمًا للكتابة والمناقشة والحوار بشأنها فى كثير من المجتمعات نظرًا لأنها تمثل نصف المجتمع الذى لا يمكن لأى مجتمع أن يعيش، وأن تسير الحياة بشكل طبيعى من دونها نظرًا لأنها الأم والزوجة والبنت

والأخت، وقد شغلت هذه القضية الفلاسفة والمفكرين، فهناك من هو مدين لها ومعترفًا بفضلها، وحاول الرفع من شأنها وإعطائها دورًا أكبر فى المجتمع وهذا من حقها فى أى مجتمع يريد أن ينمو ويتطور؛ لكن من المجتمعات من أساء الوسيلة والطريقة التى ترفع من شأنها المرأة. حيث جعل من جمالها وجسدها منطلقًا وأساسًا لهذا الحضور على صعيد المجتمع.

ـ إن مناخ الحرية الذى وجد فى المجتمعات الغربية أحدث سلوكيات كثيرة فى الخروج عن الوضع الطبيعى الذى يحدث التوازن النفسى والعقلى لدى الفرد، لقد عانى بعض الغربيين من الحرية المفطرة، مما دعاهم إلى البحث عن حلول لهذا الوضع المزعج الذى يترتب عليه الكثير من المشكلات النفسية والأسرية والاجتماعية.

الإعلامية لورين بوت ـ إعلامية بريطانية ـ أكدت تغطية رأسها بعد ما أسلمت وأصبحت تظهر على شاشة التليفزيون وهى مغطاه الرأس، كما أن مذيعة قناة تليفزيون الموسيقى كريستيان باكر هى الأخرى بدأت توضع الحجاب على رأسها رغم أنها تعمل فى بيئة عمل ذات طابع ليبرالى ولقد علقت على إسلام لورين بوت كقولها إن الحرية المفرطة التى تسمح بفعل أى شىء دون الشعور بالذنب أو الخجل هو الذى قادها إلى اعتناق الإسلام، لأن حياة الغرب الصاخبة نتيجة الحرية أحدثت إبعادًا نفسيًّا لدى الغربيين. وفى تحليل الباحث البريطانى فى جامعة سونزاى كيفين يرى أن اعتناق الإسلام من قبل الصحفيات والإعلاميات البريطانيات جاء بهدف البحث عن عامل روحى يملأ الفراغ الذى يحس به فى مجتمع مفرط فى الحرية ولا حدود لسلوك الفردية.

ـ إن أدبيات علم النفس تزخر بالكثير من البحوث والدراسات التى اهتمت بالإجهاد والإرهاق النفسى الذى تبين أن أحد أسبابه هو الفراغ الروحى الذى

يحس به الفرد خاصة إذا كان قد عاش جزءًا من حياته دون انتماء وممارسة الشعائر الدينية. كما وجد أن الحياة المادية الصرفة من شأنها إثارة القلق والمشاعر المتناقضة، عما يدفع بعض الأفراد إلى البحث عن ملاذ يشعرون فيه بالطمأنينة والراحة النفسية.

إن الحرية العامة فى وسائل الإعلام وكذلك فى المجال السياسى والثقافى والمجال الاجتماعى أمور لا يمكن إنكارها أو تجاهلها وتجاهل قيمتها فى تطور ونمو المجتمعات التى جعلت الحرية إحدى قيمها الراسخة.

نعم لأخطاء الذكور فقط:

تعانى مجتمعاتنا العربية من الازدواجية الأخلاقية حيث تفرض قيود على الإناث وتبيح الحرية المطلقة للذكور، هذه المجتمعات قد تعتبر التجارب الجنسية نوعًا من الرجولة لكن تعتبرها فى حياة المرأة من العار والخطايا، حتى الأم وهى أنثى تقبل من ابنها فى مثل هذه الأمور ما لا تقبله من ابنتها. وكثير من الأسر تقبل من ابنها إدخال صديق له إلى المنزل والبقاء معه فى غرفة مغلقة، لكنها تعاقب بناتها حتى مع الحديث مع صديقة أو زميلة عبر الهاتف.

إذن تتقبل المرأة الأم أو الرجل الأب فكرة أن يحظى الابن بظروف منفتحة دون الأنثى.

وتقبل بعض الأسر فى مجتمعاتنا فكرة أن يمارس الذكر كل شىء وأن يخطىء لكنها لا تتقبل ذلك من الأنثى حتى الأوساط المتحررة حيث البعض يقول (الولد ناقل عيبه) بينما البنت شرفها مثل عود الكبريت إذا اشتعل مرة انتهى، وأسباب عديدة منها أن مجتمعاتنا من تسمح للذكور بها فى كل شىء وهى تقبل من الأنثى العمل الصحيح لكنها لا تقبل العمل الخاطىء حيث أن الأنثى ينظر إليها نظرة دونية بينما الذكر الذى يمارس التدخين لا يتأثر بنظرة المجتمع.

لو أتاح كل رجل فرصة لأخته أو لزوجته أو لا بنته للحديث معه بصراحة وعدم رفض ما يتيحه لنفسه (بغرض الخروج مثلًا) فتكون النتيجة أفضل لأن للمرأة العربية كيان مختلف عن أى امرأة أجنبية.

والمرأة العربية تعلم جيدًا بأنه لن يكون هناك أبدًا وجه مقارنة بينهن، فالأولى تعلم بأن أخلاقيات ديننا الحنيف تمنعها أن تتصرف كما تفعل الأجنبية، ولذلك كرم الله ديننا الحنيف كما كرم المرأة فى القرآن.

ـ يؤكد هنا أنه يجب على الوالدين أن يكونا متفاهمين من حيث تربية الأولاد والبنات بحيث لا يكون هناك تفرقة بينهم لمجرد أنه ولد وتلك بنت، وأن يراقب الاثنان عن قرب حتى لا تعطى أيًّا منهم فرصة لعمل شىء مناف لتعاليمنا الدينية، وألا نعطى للولد الحق فى أن يكون له مطلق الحرية لمجرد أنه ذكر ولا يعيبه شىء فهذا تفكير متخلف لأنه لا ينتج عنه سوى أن تكون المرأة فى ذهن ذلك الفتى شىء رخيص يمكن الحصول عليه وقتما يشاء. كما يجب أن يرسخ فى ذهن الفتى أنه إذا كانت هذه فكرته عن النساء فمعنى ذلك أن يطبق على أخته وأمه ولا أتخيل أى رجل يقبل ذلك على أخته وأمه.

ـ يجب على الإعلام العربى والجامعات والمدارس كما هو مهم فى المنزل أيضًا ـ أن يكون هذا الوعى موجودًا حتى يدركه الأبناء فى سن صغيرة ويتربوا ليصبحوا ذوى أخلاق حميدة لكن لا يفهم من هذا الكلام أن تمارس الأنثى الخطأ وإنما يفهم منه أن تساوى على الأقل فى المعاملة وليس ممارستها لأمر ما يعيبه للمجتمع، حتى ولو كان يمارسه الذكر، فالخطأ خطأ سواء مارسه الذكر أو الأنثى.

والإسلام لا يفرق بين الذكر والأنثى فكلاهما مأمور بالفضائل ومنهى عن الرذائل حيث أن الفضائل تفيد الفرد والمجتمع والرذائل تضر المجتمع.

ولقد نادى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان صراحة بضرورة مساواة

الجنسين المرأة والرجل وقد تمثلت تلك الدعوة فى المبدأ الأول ألا وهو جميع الناس يولدون أحرار ومتساويين فى الكرامة والحقوق كما صار مخالفًا للالتزامات الدولية والقيم الإنسانية والتشريعات حرمان المرأة من فرص التعليم أو العمل وإتاحة تلك الفرص للذكور.

أما على صعيد المؤتمرات الدولية التى عقدت من أجل حقوق المرأة فهى عديدة نذكر منها مثلًا مؤتمر مكسيكو عام ١٩٧٥م حيث أصبح هذا العام عامًا دوليًّا للمرأة وكان هدف المؤتمر تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فى الأسرة والمجتمع وفى فرص التعليم والأجور وحق المرأة فى أن تختار بحرية كاملة الزواج من عدمه وفى احترام جميع الحقوق الإنسانية لها.

وقد شاركت مصر بدور فعَّال فى المؤتمرات العالمية التى سعت لمنح المرأة حقوقًا وحريات لصالحها ولصالح الأسرة المصرية وعلى المستوى المحلى نجد أن مصر قد شهدت صحوة قضائية فى الأونة الأخيرة مع إنشاء المجلس القومى للمرأة الذى كانت أولى جلساته فى ١٢ مارس عام ٢٠٠٠م، ومن هنا أخذت الفتاة المصرية العديد من الحقوق مثل:

١ ـ صنع القرار وأول قرار هام فى حياة الفتاة وحريتها فى الاختيار الزواجى.

٢ ـ صنع القرار وحريتها فى العمل.

٣ ـ الحرية والفكر الأصولى.

٤ ـ حريات تشريعية.

الحرية بين الآباء والأبناء:

دائمًا ما يختلف مفهوم الحرية من فرد إلى آخر ومن جيل إلى جيل، حتى داخل الأسرة الواحدة نجد أن مفهوم الآباء للحرية يختلف عن نظرة الأبناء، وهو ما يؤدى إلى الصراع الأبدى المعروف باسم صراع الأجيال، فكيف يرى كل واحد حدود حريته؟

عن مفهوم الحرية داخل الأسرة تقول فتاة: أتمنى أن أجد أبًا متفهمًا، يفهم تمامًا معنى الحوار، ولا يدعى التحرر والمرونة ولا يتشدق بهما، ولا يعتبر ما يعطينى إياه من حقوق مشروعة لى منحة يتكرم بها، ولا يعترف أنها من الحقوق الطبيعية جدًا للأبناء، تعطى لهم حسب تدرج أعمارهم، وحيث يحدث الخلاف بين الأب وأولاده، يتحول ذلك الأب فجأة إلى ديكتاتور يسحب جميع المنح منهم، فكلمة أب لا ينبغى أن تعنى المن والتسلط والديكتاتورية وفرض الأوامر باستمرار وبلا داع، فالحب قد يؤتى ثمارًا أفضل من الخوف.

الأب المستحيل:

وتتساءل أخرى: هل من المستحيل فى هذا الزمان أن نجد أبًا يتفهم نفسية ابنه أو ابنته إذا مر أحدهما بأزمة نفسية أو عاطفية أو بمشاكل مرحلة المراهقة؟.. الأب الذى تحتاجه البنات يجب أن يتفاعل معهن... يجب أن تحكى ابنته مشاكلها؛ لأنه يفترض فى الأب أنه يختلف عن الأم فى معالجته لبعض الموضوعات أو فى التعامل معها، ومن واجباته أن يعمل بناته كيف يتخذن قرارًا وأن يجعل حياتهن تتقدم إلى الأمام وتسير دون أن يفسدها أحد.

كذلك يجب أن تكون الأم صابرة، وأن تدرك أن المساحة التى تتحرك فيها ابنتها مختلفة عنها، ويجب ألا تتعامل الأمهات مع بناتهن بمنطق "اطوى البنات تحت جناحك" ويجب أن تجذب الأم ابنتها داخل عالمها وأن تتقرب لها، ولا بد أن يحدث هذا لى دون علمى بأنها تفعله، لأن هذا لا يتم بالقوة.

الأب سريع الصدام:

من الممكن أن يكون الأب كارهًا لأفكار أولاده، لكنه قادرًا أن يفهمها، وهنا فقط يستطيع التعامل معها فيقلل الصدام، لأنه من المفروض أن يساعد الأب الأبناء على الخروج من مشاكلهم ويعلمهم كيف يتصرفون بحكمة.

ولابد أن يعطى الأب أو الأم لأولادهما فرصة الكلام والتعبير عن أنفسهم وأفكارهم فهل يصبح هذا خطأ فى هذا الزمن؟.

إن معظم الأمراض النفسية للأبناء دائمًا تنشأ كنتيجة لسوء التربية فى الصغر؛ فالأبناء دائمًا فى حالة كبت ولا يعرفون إلى من يحدثون.

الحرية معادلة صعبة:

إن الحرية داخل الأسرة معادلة صعبة فهى تتطلب أبًا مثقفًا ومتحضرًا يناقش قبل أن يعطى خلاصة تجاربه فى الحياة، ويعلم أولاده عدم الخوف، ويعطيهم الفرصة للتجربة ولممارسة حقوقهم، وأن يتعلموا عواقبها، سواء مع الفشل أو النجاح.

الحرية ليست منحة:

لا يصح أن يعتبر الوالد حق الحرية منحة منحها للابن لأنه يمن عليه بأبوته، ولا يصح أن يلجأ الأب الكبير وقائد الأسرة إلى منطق المساومة مع الأبناء، ويجب أن يتوافر عند الأب منطق السماح والمغفرة، وأن يكون حكيمًا وليس ممسكًا بالعصا التى تهدد الأبناء، ويستوعب حكمة سيدنا عمر بن الخطاب عندما قال: "لا تعلموا أولادكم عاداتكم، فقد خلقوا لزمن غير زمانكم" فكأنه كان يقرأ المستقبل، وهو المنهج العلمى الحديث الذى توصل إليه العلماء والباحثون وهو منهج الدراسات المستقبلية.

وعن قضية الحرية والحوار بين الآباء والأبناء يوضح المتخصصون أن الأب لا بد أن يتنازل عن سلطته وقهره لأبنائه، وفى الوقت نفسه على الابن أن يثق بمشاعر والديه، وأن يكون هناك دائمًا حسن النية فى العلاقة، لكن المشكلة تظهر أكثر لو كانت سلطة الأب والأم قاسية، ويشعر الأبناء بالقيود والاختناق من والديهما، وهو ما نسميه بالحب الخانق فى علم النفس، والذى ينتج عن كثرة

القلق والهيمنة الزائدة والمتابعة المستمرة وشدة الخوف. كل هذا يقتل الأبناء نفسيًّا ويسبب لهم مشاكل مؤلمة.

ولا بد أن يعتاد الآباء مع أبنائهم على فن الكلام والحديث.. كل يأتى من عمله أو مدرسته فيحكى للآخر بشكل حميمى ـ وليس فى شكل استجواب أو تحقيق ـ ما مر به فى يومه، فمن المؤكد إذا قالت الأم لابنتها: "إياك" أن تفعلى هذا، وكان الأمر صريحًا وعنيدًا فستتوقف الابنة عن الحديث لأمها، لكنها لن تتوقف عن ممارسة الفعل، فالأمر يتطلب الذكاء الاجتماعى للوالدين والمرونة والحكمة، لكن المشكلة الحقيقية أننا أصبحنا فى زمن به الكثير من المؤثرات الخارجية الضاغطة التى سببت تشويهًا لمعان كثيرة فى الحياة، فالأفضل أن ينشأ حوار مستمر بين أفراد الأسرة حتى يكتشف الوالدن مواضع الخلل فى أبنائهما إن وجدت، فمن المؤكد أن "الأوامر المتسلطة" تغلق أبواب الحوار.

ويرى بعض الأطباء النفسيين أن الحرية بين الجيلين قضية أزلية، فكل جيل يتصور أن الجيل السابق له متخلف عنه، ولا يعرف شيئًا، بينما ينظر القديم إلى الجديد بحذر ويعتبره مفرطًا فى القيم ومستهترًا، والجديد فى هذا الوضع أن صراع الأجيال أصبح قويًّا وعنيفًا نظرًا للقفزات الكبيرة التى تمت فى القرن العشرين، سواء ماديًّا أم معنويًّا أو تكنولوجيًّا، وما يشاهده الأبناء فى بعض الأفلام مما أثر على العلاقات، وجعل هناك فجوة أكبر بين الآباء والأبناء، خاصة فى مجتمعنا الشرقى المسلم، فعندما ننظر إلى أبنائنا نجد اللغة التى يتحدثون بها مختلفة وكذلك القيم والمفاهيم فيجب العمل منذ صغرهم على تكوين الوازع الدينى لديهم، وزرع مفاهيم الصواب والخطأ والمقبول والمستهجن، وحقنهم بتطعيمات "مضادة" للانبهار بكل ما هو غربى حتى لا يتسلل إلينا كل يوم من هذه الحضارة ما يجعلنا نفقد ثقافتنا وحضارتنا الأصلية التى نعتز بها.

الحرية.. ومقومات السعادة داخل الأسرة

إن كان شعور الأفراد بالسعادة المتوقعة من تكوين الأسرة يؤدى إلى الإقبال على تكوينها كذلك فإن وجود الأسرة والمحبة بين أفرادها يعد عنصرًا ضروريًّا لتحقيق السعادة.

أى أن السعادة تنبع من الأسرة وفى الوقت نفسه تؤدى إلى تكوينها وتحافظ على استمرارها يقول ـ برتراند رسل ـ أن الرجل يستمد من الأبوة إحساسًا بالسعادة لأنه مثل المرأة يرغب فى الخلود ووجود الأطفال يحقق له هذه الرغبة الغريزية الطبيعية، وإن كان يمكن أن نستثنى الرجال ذوى المواهب الخاصة الذين يخلدون بعد موتهم بعلمهم وأعمالهم. إلا أن عامة الناس لا يتمتعون بمواهب خاصة، لذلك لا يجدون وسيلة تحمل ذكراهم فى المستقبل غير إنجاب الأطفال، كذلك يشعر الأب بقيمة الحياة وأن هناك هدفًا يسعى لتحقيقه الأمر الذى يوفر له إحساسًا بالسعادة لأن الشعور باستمرارية الحياة وبأن هناك هدف معين يملىء حياة الإنسان سعادة، ويجعله بعيدًا عن الشعور بالعبث. إن أساس قيام الأسرة يكمن فى: أن الوالدين يشعران بنوع من المحبة المتميزة تجاه أطفالهم؛ لأن الإنسان قد يحب آخر لجماله أو لمزاياه أما حب أفراد الأسرة بعضهم لبعض فإنه مجرد عاطفة غير مسببة وإن كان الشاب قد لا يهتم بهذا الحب خلال فترات نجاحه، ألا أن يكون له بمثابة نوع من العزوة والشعور بالآمن فى حالات الفشل وتتكون مقومات السعادة داخل الأسرة من حريات ثلاث:

١. حرية أفراد الأسرة:

إن شعور كل فرد من أفراد الأسرة بالحرية يعد شرطًا ضروريًّا لتحقيق السعادة والواقع أن تحقيق الحرية ليس أمرًا سهلًا أو بسيطًا خاصة إذا كانت

بين طرفين، لأنها تنصب احترام كل طرف للآخر والرقة والعطف بينهم فتحقيق السعادة لأحد الأطراف أمر بسيط، أما تحقيقها لكلا الطرفين فإنه يعد أمر فى غاية الصعوبة.

فالسجان يشعر بالسعادة من عمله لأنه يشعر بالسعادة من السيطرة والسلطان، والديكتاتور يشعر بالسعادة عند فرض سلطته وإرادته، إلا أن الطرف الآخر فى تلك العلاقات غالبًا ما يعانى من الشقاء، لذلك فإن الشرط الضرورى لتحقيق السعادة هو وجود نوع من المساواة واحترام وعطف متبادل بين الأطراف. وعلى ذلك إذا ما رغب أفراد الأسرة الشعور بالسعادة لا بد من أن يتوفر لهم أولًا الشعور بالحرية الشخصية ولا يطغى أيًّا منهم على حقوق الآخر.

٢ـ حرية الأطفال:

يعتبر شعور الطفل بحريته أمرًا ضروريًّا لسعادته وسعادة الآباء، لذلك لا بد من أن يقلل الآباء من سيطرتهم، وأن يمنح الطفل الحرية الكاملة عندما يحين الوقت المناسب، الذى يستطيع الطفل فيه الاعتماد على نفسه، ويؤكد ـ راسل ـ "على أن إحساس الأب بالسعادة يستمد من أمرين، أولهما من إحساسه بالخلود الشخصى من خلال أولاده" وثانيهما فى المزج بين حب السيطرة والعطف فالطفل مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، الأمر الذى يدفع الآباء لمساعدته وتقديم العون له. ولكن مثل هذا الموقف من الآباء على الرغم من أنه يشبع رغباتهم فى السيطرة والسلطان، إلا أنه يعد موقفًا ضروريًّا طالما أن الطفل لا يستطيع الاعتماد على نفسه.

لكن إذا ما نضج الطفل واستمر الوالدان يقدمان له المساعدة نفسها فإن ذلك يمثل صورة سافرة لدافع حب السيطرة.

الأمر الذى قد يدفع الطفل إلى العصيان والتمرد، فيشعر الوالدان بنوع من

خيبة الأمل لأن الطفل لم ينشأ كما كانا يرغبان ويشعران بالتعاسة لذلك يجب أن تكون معاملة الطفل نابعة من دافع تحقيق مصلحته وليس بدافع حب السيطرة والتمسك. كما يجب أن تتم المعاملة بصورة تلقائة. إذ يرى ـ راسل ـ أنه إذا كان لدى الآباء رغبة صادقة فى تحقيق مصلحة الطفل ولا يعتبرونه مصدرًا لإشباع رغبتهم فى السيطرة فإنهم يستطيعون أن يعاملوا أطفالهم بدون مساعدة من الكتب التربوية أو من التحليل النفسى، بل بالاعتماد على السلوك التلقائى الذى ينبع من صفاء القلب والذى يمكنهم من أن يعرفوا بطريقة مباشرة ما يجب أن يفعلوه وما لا يجب، ويمكنوا من تحقيق نوع من الانسجام بينهم وبين أطفالهم. كما يجب أن تعامل شخصية الطفل بنوع من الاحترام وليس مجرد الإحساس بالرغبة فى التخلص من حب السيطرة.

٣. حرية الأم:

إن للأم دورها فى فساد أو صلاح شخصية الطفل وتنعكس مشاعرها على الأطفال مباشرة.

لذلك يعد شعورها بالحرية عنصرًا ضروريًّا لسعادتها وسعادة أطفالها، فيجب أن تتحرر الأم من العبودية للأطفال، وأن تترك الطفل يحقق ذاته واستقلاله وتساعده على أن يحل كل مشاكله بنفسه. كما يجب ألا تفقد اهتماماتها الأخرى فى الحياة من أجل الأطفال؛ لأن ذلك يدفعها إلى مطالبة الأطفال بالتعويض مقابل تضحياتها وعليها الاستعانة بالمتخصصين فى مجال تربية الطفل، لأنها لم تتلق من الغريزة الوسيلة النموذجية لتربية الطفل.

إن الطفل لا يمنح الأم حبًا أكثر مما يمنح للأب،ـ وعلى الرغم مما هو متعارف عليه من زيادة نصيبها من التضحية عن الأب، إلا أن الطفل يمنح المحبة للأم والأب بالدرجة نفسها.

لذا يجب على الأم ألا تتوقع من الطفل أن يضحى بأبيه من أجلها، أو يمنحها حبًا أكثر مما يمنحه، لأن مثل هذا التوقع غالبًا ما يؤدى إلى تعاستها، كذلك لا بد أن تنتبه الأم لدوافعها الحقيقية، لأن كثيرا من الأمهات يفسدن حياة أطفالهن لاعتقادهن بضرورة المحافظة والحرص وتوفير الحماية للطفل إلا أنهن يكن مدفوعات بالرغبة فى السيطرة دون وعى منهن ويطالب ـ راسل ـ بالتشجيع على تكوين الأسرة وإنجاب الأطفال، وأن كان يرى أن خير وسيلة لذلك أن يشعر الفرد بأنه سوف يستمد السعادة منها. إلا أن دعوته لا تخلو من العرقية والتعصب للحضارة الغربية حيث اعتبر عدم إقبال الشباب على تكوين الأسر وإنجاب الأطفال أمرًا يؤدى إلى فناء الحضارة الغربية. ويقارن دائمًا بين قلة الإنجاب فى الدول المتحضرة وزيادة السكان فى الدول غير المتحضرة، الأمر الذى يوضح أن راسل على الرغم من دعوته للمساواة والحرية لشعوب الأرض ودعوته لقيام حكومة عالمية إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من النظرة المتعصبة للقومية الغربية ومن فكرة السيطرة الدائمة للغرب.

كيف يعيش الإنسان حراً؟!

قد يعرف البعض الحرية. بأن يكون المرء قادرًا على فعل ما يشاء وقتما يشاء كيفما يشاء.

هذه ليست الحرية إنها الفوضى..

يكتفى آخرون بالقول إنه لا وجود لشىء اسمه الحرية..

وأنها مجرد فكرة.. وحلم منشود..

لا يتفق الكثير هنا مع القائلين بأن الحرية لا وجود لها بأى صورة أو أى مفهوم..

فالإنسان يمكن أن يكون حرًا.. دون أن يخرج.. على القوانين.. ودون أن يحمل السلاح.. ودون السقوط فى الفوضى..

نحن نصبح أحرارًا.. فى اللحظة التى.. نبحث فيها عن الحرية.. حريتنا.. وحرية غيرنا.. فنقف مع الحق ضد الظلم..... ومع العدل ضد الطغيان.....

ومع الجمال ضد القبح.....

نصبح أحرارًا.. حين تكون قرارتنا منبثقة من ضمائرنا.. وليس.. من أجل إرضاء حاجة.. أو رغبة.. تتناقض مع مصلحة المجموعة..

فالإنسان لا يمكن أن يكون حرًا.. خارج المجموعة البشرية التى يعيش فيها.. نصبح أحرارًا.. حين نكون نحن.. فلا نجعل مبادئنا مجرد سلعة تباع وتشترى..

وليس ضروريًا لتكون حرًا أن تقتل سجانك.. فما أكثر السجانين.. ولكن المهم ألا يكون السجن داخل عقلك..

لا يمكن أن نكون أحرارًا.. إذا لم نكن متمسكين بالحرية..

إذا لم تكن الحرية بالنسبة إلينا.. مثل الماء والهواء..

يجب أن تكون الحرية بالنسبة إلينا.. مثل الماء والهواء..

يجب أن تكون الحرية مكونًا ثابتًا من مكونات شخصيتنا.. لا لباسًا نخلعه وقتما نشاء..

لا يمكن أن نكون أحرارًا.. إذا لم نضحى بكل شىء من أجل حريتنا.. وحرية الآخرين..

كما أنه من البديهى أن الكثيرين.. ولأسباب متعددة.. يودون ويحاولون سلبنا حريتنا..

فسيضطهدوننا.. ويحرموننا من أبسط.. مظاهر إنسانيتنا..

وربما دفعونا إلى اليأس.. وكبلونا بالقيود.. وفرضوا علينا حقائقهم وخياراتهم..

وفى مثل هذه الظروف.. بالتحديد.. يتبين مدى تعلقنا بالحرية..

ومع أنه.. قد نحنى رءوسنا للريح حينا.. ونجبن أحيانًا.. فنسير مع القطيع لبعض الوقت.. ونخضع للظروف القاهرة..

لكن إذا كنا أحرارًا بحق.. فإن بذكرة الحرية لن تموت فى قلوبنا أبدًا.

وسيبقى غصنها أخضر على الدوام فى قلوبنا.. ينتظر الفرصة المواتية لينمو.. ويثمر من جديد..

وسندافع عن حريتنا.. ونضحى من أجلها بكل شىء.. ومهما بدا الثمن.. باهظًا.. فسنكون سعداء.. بدفعه.. لأنه لا شىء يعادل الحرية.

وكلمات وكلمات قيلت عن الحرية..... وكل من عبر عن الحرية بأسلوبه وطريقته منهم من رآها بقلمه ومنهم من رآها بتغيير فى الحياة ومنهم من رآها بالمطالبة بأشياء غير موجودة فى حياته.....

الشباب طالبوا بحرية الفتاة لكى تخرج معهم وتكون خارجه عن تقاليدها من أجل مصلحتهم.

والفتاة طالبت بحريتها بأشياء وأشياء..... لأنها أرادت أن تعوض عن القمع ولكن لن تقف أفواه المطالبين..... لأنهم أحرار وهذا هو رد الآخرين! هل نستطيع أن نسكت الشباب أو نسكت الفتاة عن المطالبة أو نسكت السياسى أو أى شخص!! فهذه حقوق الإنسان الحر.

فأنت حر باختيارك ولكن العتاب على الشباب الواعى الذى لم يعرف ما معنى

الحرية الصحيح! الذى يريد أن يمارس الحرية من وجهة نظره فقط أنت حر؟ نعم ولا نريد أن نكون مقيدين ولكن افهم الحرية بحقيقتها ومارسها.

كتب الشعراء عن الحرية لأنهم أرادوا الحرية للبلاد وللآخرين عبروا بها فى كلمات جميلة والكل قرأها وتمتع بها... لأننا أردنا ما نستطيع التعبير عنه.....

فكن حر وعبر عن حريتك بالفعل لا بكلمات..... فالكلمات قد تزول يومًا ما..... فلا تنسى فأنت خلقت حرًا..... وتمتلك الإرادة..

مفهوم الحرية فى الأديان عامة والمنهج الإسلامى خاصة:

إن مفهوم الحرية فى الأديان عامة، والدين الإسلامى خاصة على قدر كبير من السعة والشمولية، ولكن بمقدار تلك السعة والشمولية هناك جوانب لا يكون للإنسان الحرية فيها مطلقًا من قبيل الحق فى التشريع، أو امتثال التكليف على خلاف الصورة المطلوبة، أو الاعتراض على ما هو شرع وغيرها من الأمور فى حين هناك مساحة واسعة للحريات الفردية.

ـ إن حرية الإنسان فى المنظور الإسلامى أتم وأكمل وأروع بكثير مما صور ضدها (أن حرية الإنسان فى الرؤية الإسلامية هى فريضة اجتماعية، وتكليف إلهى، تتأسس عليها أمانة المسئولية ورسالة الاستخلاف ـ يعنى استخلاف الله للإنسان فى الأرض ـ التى هى جماع المقاصد الإلهية من خلق الإنسان... فالحرية: هى الإباحة التى تمكن الإنسان من الفعل المعبر عن إرادته فى أى ميدان من ميادين الفعل أو الترك، وبأى لون من ألوان التعبير...).

إذن فالحرية وفق المنظور الإسلامى هى تكليف إلهى يقع من جانبين هما:

الجانب الأول: جانب الفرد ذاته فلا يحق للإنسان التنازل عن أسباب حريته. فقد ورد فى هذا الشأن قول أمير المؤمنين على ابن أبى طالب...: (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرًا).

الجانب الثانى: الحرية الاجتماعية: (فلقد تجاوزت الحرية فى النظرة الإسلامية نطاق الفرد ـ أى الحرية الفردية ـ إلى النطاق الاجتماعى ـ أى الحرية الاجتماعية ـ للأمم والجماعات).

إذن ففى سلم الأولويات فى الإسلام تحتل الحرية مقامًا متقدمًا جدًّا، بل أكثر من ذلك اعتبر الإسلام الحرية بمثابة الحياة فى حين اعتبر الرق الذى هو ضد الحرية موتا وهذا ما تستفيده من تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء..]

وفى الإسلام توجد حرية أخرى علاوة على الحريات الأخرى المعروفة (ربما كانت هى الحرية الحقة التى أرادها الله للناس أجمع وبعث من أجلها أنبيائه ورسله تلك التى تنطلق منها بقية معانى الحرية وهى تحرر الفرد من شهوات نفسه) وهذه الحرية تعتبر من أكثر أنواع الحريات تأثيرًا على حياة الفرد والمجتمع، والرق الحقيقى هو الإنسان الذى يسير وفق أهواء نفسه وشهواتها فإنها ولا شك سوف تقوده إلى المرتبة التى يصبح فيها خطرًا على نفسه بالدرجة الأولى ثم يعود خطره على المجتمع ككل. فقد ورد فى الأخبار الكثير الذى يصف الإنسان بكونه فاقدًا للحرية فيما لو خضع لسلطان شهواته.

من قبيل: (عبد الشهوة أذل من عبد الرق).

و(مغلوب الشهوة أذل من مملوك الرق) و(عبد الشهوة أسير لا ينفك أسره).

والخلاصة أن الأنظمة الأرضية تربط الحرية بامتلاك أسباب المادة، ووسائل القوة، فهما الكفيلان بتوفير الحرية للفرد حسب أكثر الأنظمة الأرضية، فى حين لا تربط الرؤية الإسلامية بين الحرية وهذه الأسباب إنما ترى للحرية أسبابًا أبعد من ذلك إلا أن هناك أمرًا جديرًا بالإشارة إليه وهو أن البعض من دعاة الحرية فى العصر الحديث كانوا قد وضعوا معيارًا جعلوا منه مقياسًا لتوفر

الحرية، فهؤلاء يعتبرون أن الحرية موجودة فى كل مكان يمتع بتنكر أكبر للمبادىء الأخلاقية والاجتماعية، فى حين تتضاءل حتى تنعدم بحسب درجات التمسك بتلك المبادىء.

فهؤلاء يظنون (أن حرية الإنسان فى حرية غرائزه، وشهواته...) وإن (اتباع ما تمليه عليه شهواتهم وأهواؤهم النفسية يعنى نيل الحرية والتمتع بحياة متحررة).

إن هذا المعيار هو معيار باطل، وأصحابه مخطئون كل الخطأ فيه. ويكفى أن نرد على أصحابه بذكر كلام فيلسوف من فلاسفة الغرب والذى عاش فى القرن السابع عشر الميلادى وهو الفيلسوف (إسبينوزا) الذى يقول فى الرد على هذا الرأى.

(ثمة من يظن الحرية والقوة فى قدرته على اتباع هوى نفسه وأن فى اعتباره التمسك بالأخلاق والفضائل ضربًا من القيد والأسر. غافلًا عن اتباع أهواء النفس هو الأسر والعبودية؛ إن طريق الخلاص يكمن فى أن نرى العبودية ضعة، فنشيح عنها بوجوهنا، وأن نلتفت إلى الحقيقة ونسعد بها، وبديهى أن بلوغ هذا المقام ليس سهلًا يسيرًا).

"وقد عزز الرسول ﷺ فى سنته المطهرة وسيرته العطرة، مبدأ "الحرية" سواء فى التفكير أو فى التعبير أو فى إعمال الرأى والاجتهاد فى أمور الدين والدنيا، حرصًا منه على تكوين الشخصية المستقلة المتماسكة القوية لدى المسلم.

ـ فأثناء الاستعداد لمعركة "بدر الكبرى" والتخطيط لها، قال الصحابى الجليل "الحباب بن المنذر" رضى الله عنه: "يا رسول الله، إن هذا المكان الذى أنت فيه ليس بمنزل، فانطلق بنا إلى أدنى ماء إلى القوم، فإنى عالم بها وبقلبها، بها قليب قد عرفت عذوبة ماءه لا ينزح، ثم نبنى عليه حوضًا فنشرب ونقاتل. ونغور ما سواه من القلب فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال:

"الرأى ما أشار به الحباب" فنهض رسول الله ﷺ ففعل ذلك.

ـ ولما أراد الرسول ﷺ أن يبعث الصحابى الفقيه "معاذ بن جبل" رضى الله عنه إلى اليمن، ليعلم الذين دخلوا إلى الإسلام ويفقههم، قال عليه الصلاة والسلام: "كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ " قال أقضى بكتاب الله قال "فإن لم تجد فى كتاب الله" قال فبسنة رسول الله ﷺ قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله؟" قال: أجتهد برأى ولا الو. فضرب رسول الله ﷺ صدره، فقال: "الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى رسول الله". وعن عائشة وعن أنس بن ثابت رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم".

"عن محارب بن دثار أن عمر رضى الله عنه قال لرجل: "من أنت؟ قال: أنا قاضى دمشق، قال: وكيف تقضى؟ قال: أقضى بكتاب الله، قال: فإذا جاء ما ليس فى كتاب الله، قال: أقضى بسنة رسول الله، قال: فإذا جاء ما ليس فى سنة رسول الله؟ قال: أجتهد برأى وأوامر جلسائى، فقال له عمر: أحسنت.

الإسلام.. والحرية:

جاء الإسلام فى عصر كانت البشرية فيه تعيش فى الجهل والتأخر وتقاسى أشد المحن وكانت المجتمعات القديمة تعرف معنى الحرية بمفاهيمها الحديثة وهى حرية الغزو والقتال والسبى فأراد الإسلام أن ينظم حياة الفرد، لأنه كان يعلم أنه متى نظم الفرد حياته استطاعت الأمة أن تقيم دولة وحضارة وأن تدفع ركب الإنسانية إلى الأمام.

والإنسان فى نظر الإسلام يعنى الحر، والحر يعنى الإنسان لأن المسلم يمتاز عن غيره من بنى جنسه بالتفكير فى هدى الإسلام، ثم الموازنة بين موضوع تفكيره ثم الحكم تبعًا لتلك الموازنة، وأخيرًا وفق ما قاده إليه تفكيره وصحت موازنته وصدد فيها حكمه.

وحرية الإنسان المسلم تكاد تخلو من القيود والمحتويات مالم تتجاوز تلك الحرية الخط الأحمر الذى يقود إلى الحاق الضرر بنفسه أو بغيره ممن يعايشونه على أرضه فها هنا فقط تتوقف حريته حتى لا تصطدم بحرية الآخرين.

فالحرية بهذا المعنى حق فطرى للناس ـ كل الناس ـ لأن الله سبحانه وتعالى خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيها القدرة على العمل.

ومنذ أقدم العصور والحرية عبئا ثقيل على الظالمين والجبابرة والمخادعين والذين يبتكرون الحيل للضغط على حريات غيرهم من الضعفاء بهدف تضييقها أو خلقها.

فلما جاء الإسلام حارب كبت الحريات وأطلق سراح الإنسان وأباح له الستعمال حريته على وجهها الصحيح وتصدى بشدة للدفاع عن تلك الحريات.

ـ إلى ديننا الإسلامى السمح دين اليسر واللين، دين ديمقراطى يقبل كل ما يتفق مع كتاب الله وسنة نبيه ومعنى الحرية الشخصية أن تكون أرائك وأفكارك وأعمالك لا تشذ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير مجاهرة بالمعصية كما قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينا) [الأحزاب: ٣٦] ويقول ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به).

وقضية الحرية هى قضية محورية فى الفكر الإسلامى المعاصر ولها جذور ضاربة فى أعماق التاريخ الإسلامى فالإسلام دين انحاز منذ ظهوره إلى الحرية ضد جميع أشكال الاستبداد..... انحيازًا لا يخالطه تردد ولا غموض... فكان الإسلام فى عقيدته وفى حركته السياسية وفى النظام الاقتصادى والاجتماعى يمثل مشروعًا تحرريا وثورة ضد كل أشكال العبودية لغير الخالق عز وجل.

وكما كانت الحرية الشخصية هى الهم الشالغل لهذا الدين كذلك كانت المصلحة العامة لا تقل عنها درجة ولا أهمية.

لقد جعل الإسلام "الحرية" حقا من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، وحين يفقد المرء حريته، يموت داخليًا، وإن كان فى الظاهر يعيش ويأكل ويشرب، ويعمل ويسعى فى الأرض. ولقد بلغ من تعظيم الإسلام لشأن "الحرية" أن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، الذى لا ينتظر الإيمان بوجوده بتأثير قوى خارجية، كالخوارق والمعجزات ونحوها قال تعالى: (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) فنفى الإكراه فى الدين، الذى هو أعز شىء يملكه الإنسان، للدلالة على نفيه فيما سواه وأن الإنسان مستقل فيما يملكه ويقدر عليه لا يفرض عليه أحد سيطرته، بل يأتى هذه الأمور، راضيًا غير مجبر، مختارًا غير مكره.

هل "الحرية" تعنى الإطلاق من كل قيد؟

لا يعنى بطبيعة الحال إقرار الإسلام للحرية أنه أطلقها من كل قيد وضابط، لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى، التى يثيرها الهوى والشهوة، ومن المعلوم أن الهوى يدمر الإنسان أكثر مما يبنيه، والإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه مدنى بطبعه، يعيش بين كثير من بنى جنسه، فلم يقر لأحد بحرية دون آخر، ولكنه أعطى كل واحد منهم حريته كيفما كان، سواء كان فردا أو جماعة، ولذلك وضع قيودا ضرورية، تضمن حرية الجميع.

وتتمثل الضوابط التى وضعها الإسلام فى الآتى:

أ ـ ألا تؤدى حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ب ـ ألا تفوت حقوقًا أعظمك منها، وذلك بالنظر إلى قيمتها فى ذاتها ورتبتها ونتائجها.

ج ـ ألا تؤدى حريته إلى الإضرار بحرية الآخرين.

وبهذه القيود والضوابط ندرك أن الإسلام لم يقر الحرية لفرد على حساب الجماعة، كما لم يثبتها للجماعة على حساب الفرد، ولكنه وازن بينهما، فأعطى كلا منهما حقه.

إن الإسلام أعطى للإنسان حرية الفكر والكلام والعمل ولكمن ضمن حدود أن لا يؤذى نفسه أو الآخرين ومثال على ذلك تحريم بعض الأطعمة والأشربة فى إيذاء النفس. ويعتقد معظم علماء المسلمين أن تحرير الإنسان من العبودية لغير الله وتحريره من شهوات نفسه ونزوات غريزته هى أولى أنواع الحريات التى قام بها الإسلام فى أيامه الأولى، بينما تطلب هذا النوع من الحرية قرونا من النضال فى أوروبا للتخلص من استبداد حكام الإقطاع وسلطان رجال الكنيسة. فالإسلام يعتبر التحرر من عبودية غير الله أول وأهم أنواع الحريات كما فى الآية:

"ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا". [سورة النساء].

ضوابط الحرية

"إن الحرية فى التربية الإسلامية ليست مطلقة العنان حتى تهوى بصاحبها إلى قاع الضلال الروحى والانحطاط الأخلاقى، بل هى حرية واعية منضبطة، فإذا خرج بها الإنسان عن أحكام الدين ونطاق العقل وحدود الأخلاق ومصلحة الجماعة، تمت مساءلته ومحاسبته وإيقافه عند حده ورده عن خطاه، منعا لضرر الفرد والجماعة، وفساد الدين والدنيا.

ومن تعاريف الحرية أنها التصرف فى الأشياء الخاصة بدون عدوان على النفس أو الغير، سواء أكان ذلك حسيا أو معنويًا...فلا يعتبر الاعتداء على النفس أو الملك الشخصى حرية للإنسان، لذلك حرم "دين الإسلام" الانتحار أو الإضرار بشىء من الجسد أو الملك فى غير مصلحة صحيحة مبنية على مكارم الأخلاق، وكذلك فإن الناس يمنعون الأفراد الذين يريدون الانتحار أو الإضرار بأملاكهم من ذلك.

كما لا يعتبر الاعتداء على الغير سواء باللسان (كالسب) أو باليد (كالضرب) من الحرية. فمن فعل ذلك فهو من الأشرار لا الأحرار.

ومن حدود الحرية: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١١، ١٣].

ـ وتكثر فى هذه الأيام بصفة خاصة أحاديث فى الحرية والتحرر ليبدو فى كثير من الأحيان خصوصا فى الناحية التطبيقية أن هناك تناقضا بين وجهات النظر يغلب فيه إيجاد المصلحة الذاتية، ومن ثم يقوم الصراع بين المتنازعين وكل منهم يدعى لنفسه الحق بالصدق والكذب وربما يكون كل منهم على باطل ومهما اختلفت الوسائل فإن هذا لن يؤثر شيئًا فى حقيقة القضية القائلة أن الحرية طبيعة للإنسان وحق له ويظل الإنسان يطلب هذا الحق مهما تنوعت العقبات أو زيدت الإغلال والقيود.

ـ وتعدد الأديان المتعاقبة كان تدريجًا طبيعيًّا مع العقل الإنسانى، وكون الإسلام خاتمة الديانات معناه أنه دين عام شامل يخاطب العقل بأمر ما يمكن أن يخاطب به ليسير بعد ذلك على منهاج ثابت.

ـ أصبحت الحياة منهاج مرن سهل صالح لكل زمان ومكان وجنس، لا يدع حقيقة من حقائق الفرد والجماعة أو الكون إلا ويضع لها فى حدوده مكانًا مناسبًا.

ـ ولقد ظهر فى الدنيا أديان عدة غير سماوية ولها إتباع ومنكرون الإسلام ينفرد من بين هذه الأديان بأنه دين العقل الذى يرفض أن يعطل الإنسان حواسه وملكاته عن العمل من أجل استجلاء الصواب ومن الآيات القرآنية التى تخير الإنسان فى اختيار الدين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

ـ وبعد ذلك ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

ـ بلا ضغط ولا إكراه لأنه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾.

ـ وأخيرًا ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾.

* هذا هو سبيل المناقشة وحدودها العامة كما تصورها بعض أصول الإسلام الموجودة فى هذه الآيات على سبيل التمثيل والإحاطة والشمول، فهو كما نرى لا يروع ولا يقهر ولا يكابر بل يترك الميدان فسيحًا للخصم ويتيح له كل الحرية لإبداء ما يرى. وهذا كله لأن الإسلام دين العقل والفكر ولقد أصبح من الحضارة الحديثة والدين الحقائق: إن الإكراه لا يكون فى العقائد إنما على العكس ينفر منها ويسىء بها الظنون، وطبائع الأشياء ترسم للعقائد طريقا يبدأ حتما من الحرية العقلية المطلعة.

* ومن ناحية أخرى يضمن الإسلام لمخالفيه كافة الحقوق العامة التى تلزم للفرد العادى مسلما أو غير مسلم ما دام لا يجاهر بالعدا أو يبيت النية على مكر "بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا" كما يقول الرسول ﷺ فى الحق لأهل الكتاب إذن فالتربية الإسلامية تؤكد "مفهوم الحرية" وتنادى بالحفاظ عليها، تشريفا للإنسان وتكريما له وإعلاء لشأنه وفق ما اقتضته إرادة الله تعالى بتفضيله على كثير ممن خلق، سواء فيما يتعلق بأمور الدين أو أمور الدنيا":

"وسبيلها فى ذلك فتح الباب أمام الإنسان ليمارس حريته وإرادته واختياره الواعى المسئول دينيًّا وخلقيًّا، وتمكينه من تكوين شخصيته على نحو متكامل وسوى ومتزن خال من الاضطراب العقلى والتوتر العصبى والقلق النفسى، وإتاحة الفرص العادلة المتكافئة أمامه لينمى عقله ويصقل قدراته وميوله ومواهبه، وتشجيعه على المبادءات الذاتية والنشاط الذاتى حتى يشارك بفعالية فى بناء نفسه بنفسه من خلال العلمية التربوية والتعليمية. ووسيلتها فى تكوين الإنسان وتنشئته: الإقناع والحجة والبرهان، والدعوة بالتى هى أقوم والمجادلة بالتى هى أحسن، والتذكير الواعى والنصح الرشيد، وتبصيره بشكل بناء إيجابى يخاطب عقله، ويستنير ذهنه ويقدح تفكيره، فتكون قناعاته بغير جبر أو إكراه، ويتحمل مسئوليات حريته واختياره فى دنياه وأخراه".

جذر الحرية:

وجذر الحرية، هو أن يتحرر الإنسان من كل الضغوط والأهواء والشهوات التى تدفعه إلى الخضوع والانسياق وراءها.. فحينما يغمر الإيمان بالله عز وجل قلب الإنسان، ويتواصل بحب واختيار مع القدرة المطلقة، تنمو لديه القدرة على التخلص من كل الأشياء التى تناقض حرية الإنسان. فطرق الحرية الإنسانية، يبدأ بالإيمان والعبودية المطلقة لله عز وجل. وذلك لأن كل الأشياء حاضرة عنده، لا

يغيب شيء منها عن علمه، لأن الأشياء مكشوفة لديه، فلا مجال لاختباء الإنسان عن الله فى أى عمل يخفيه، أو سر يكتمه أو خطأ يستره.

من هنا وقفت الآيات القرآنية ضد الإكراه والسيطرة، ودعت النبى الأكرم ﷺ إلى التحرك فى أجواء الإبلاغ والإقناع وحركة حرية الفكر والتعبير.. إذ قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

وقال عز من قائل ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾. وقال تبارك وتعالى ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾. فنجاح وتوفيق الإنسان فردًا ومجتمعا، هو نتيجة التزامه بحريته واحترامه التام لحريات الآخرين.

فالحرية بكل ما تحمل من معانى إنسانية نبيلة وقيم تعلى من شأن الإنسان وكرامته، وتحميه من كل نزعات الاستفراد والإقصاء والنبذ والإكراه، هى بوابة الرشد ووسيلته وهى التى تخرج الإنسان من الظلم والطغيان وتخلق حقائق الاستمساك بالعروة الوثقى.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

فالحرية التى تصون كرامة الإنسان وحقوقه، هى تلك الحرية النابعة من تحرر الإنسان من كل الشهوات والأهواء التى تحاول أن تدفعه إلى التخصيص. فبمقدار تمكن الإنسان من التحرر من أهواءه ونزعاته الشيطانية بذات القدر يتمكن من الاستفادة من الحرية فى واقعه الاجتماعى والسياسى.

فالحرية دائمًا بحاجة إلى إنسان حر، والإنسان الحر هو الذى يتحرر من رذائل الدنيا والشهوات. فالحرية لا يمكن أن تتجسد فى الواقع الخارجى بدون الإنسان الحر. وذلك لأن الإنسان بإرادته وصبره وعمله وكفاحه، هو الذى ينجز مفهوم الحرية فى الواقع السياسى والاجتماعى. لذلك لا يكفى من أجل إنجاز الحرية فى

مجتمعاتنا، أن يرفع الإنسان شعار الحرية، وإنما من الضرورى أن يجسد قيمها، ويتوفر لديه الاستعداد التام لدفع ثمنها كفاحا وصبرا وعملا. فالصبر على الألم الذى يسلطه أعداء الحرية، هو الذى يقرب الواقع من تمثلها وتجسيدها وذلك لأن "حريتك لن تأتيك من الخارج، وإن الحرية لا تصدر بمرسوم، فأنت حر حتى لو كنت فى زنزانة لا تتسع إلا لجسدك ما دمت تعيش حريتك فى إرادتك، وفى أن ترفض ما يفرض عليك بحيث تستطيع أن تقول (لا) عندما يريد الأخرون أن يستعيدوك لتقول (نعم)، أو عندما يريد الآخرون أن يستعبدول لتقول (لا) فلتكن (لأؤك) منطلقة من إرادتك من حريتك فى الإيجاب و (نعمك) متحركة فى خط قدرتك على السبب..

الحرية والتسامح:

إن التعبير الإسلامى الشامل، الذى يحضن مفردات التسامح وتجلياته الخاصة والعامة، الثقافية والاجتماعية والسياسية، هو تعبير مبدأ العدل والعدالة.. قال تعالى ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى: ١٥].. إذا هو (العدل) الذى يستوعب كل مفردات التشريع الإسلامى، والعدالة هى أم القيم وتجلياتها جميعا. وفى هذا السياق أيضا تأتى مفردات (العفو ـ الإحسان ـ دفع السيئة بالحسنة ـ الإعراض عن الجاهلين). إذ يقول تبارك وتعالى ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد: ٢٢].. ويقول عز من قائل ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].. وغيرها من الآيات التى تحث المؤمنين على تجسيد هذه القيم فى حياتهم وأحوالهم المختلفة.

وإن هذه القيم بحاجة إلى سياق اجتماعى، يتوجه نحو بناء هذه القيم وإرساء دعائمها لبنة لبنة، وخطوة خطوة. وذلك لأنه من المستحيل أن تتحقق هذه القيم فى الفضاء الاجتماعى والإنسانى دفعة واحدة، وإنما تنجز بالتدرج والتراكم. لذلك ينبغى أن نقوم بدعم وإسناد كل خطوة فى هذا الطريق الطويل والشاق. وإننا من الضرورى أن لا نستعجل النتائج. قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].. ونحن مأمورون دائما باتباع الإحسان. إذ قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر: ١٨] ..

فحينما تتطور الظروف وتتبد الأحوال وتزداد وتيرة المتغيرات، فعلينا استنادًا على هدى القرآن الحكيم ونور العقل وبصيرة الإيمان من اتباع الإحسان فى القول والفعل. وهذا النهج يؤسس لنا منهجًا واضحًا فى طبيعة التعامل مع مستجدات الحياة وتطوراتها على الصعيدين النظرى والعملى. إذ اننا مطالبون من الاستفادة من كل هذه المنجزات والمكاسب على قاعدة "فليأخذوا أحسنه" و "إن ما نعيه من مقصد الشريعة فى إثارة العقل، ومخاطبة العقلاء، وفى رفع وحجب الشهوات، عن العقل، وفى تنمية الإرادة ضد من يصادروا العقل. إن مراد الشرع فى كل ذلك ـ هو العمل بما يقتضيه العقل والعلم، وبما يكشفان من حقائق الحياة وواقعياتها، فإن كانت الحقائق ثابتة عملنا وفقها، وإذا كانت متغيرة عملنا وفقها..

والحرية الحقيقية للإنسان تبدأ حينما يثق الإنسان بذاته وعقله وقدراتهما. وذلك لأن التطلع إلى الحرية بدون الثقة بالذات والعقل، تحول هذا التطلع إلى سراب واستلاب وتقليد الآخرين بدون هدى وبصيرة. لذلك فما لم يكتشف الإنسان ذاته

ويفجر طاقاته المكنونة، لن يستطيع من حصاد ثمرة تجربته فى الحرية وبناء واقعه العام على قاعدة الديمقراطية والشراكة بكل مستوياتها.

أهم الحريات التى منحها الإسلام للإنسان:

١ ـ الحرية الشخصية. ٢ ـ الحرية الداخلية. ٣ ـ حرية التفكير.

٤ ـ حرية العقيدة. ٥ ـ الحرية الاجتماعية. ٦ ـ الحرية المدنية.

٧ ـ الحرية السياسية.

ـ وفيما يلى عرض مختصر لبعض هذه الحريات:

١- الحركة الشخصية:

ـ رأى الإسلام أن الإنسان هو الثروة البشرية المتعددة الطاقات، المتنوعة النشاطات والتى يجب أن ترتفع عن مستوى السلعة، السلعة التى تباع وتشترى فتحط ثمنا وتسمو بقدر ما تقدر وما تقدم للمشترى من منافع.

ـ والإنسان هو المخلوق الراقى المهيأ للسيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لخير الإنسانية وسعادة الإنسان.

ـ ولهذا يجب أن يتحرر من قيوده ويجب أن تتحرر إرادته ويجب أن يتحرر جسدة حتى يتمكن من استكشاف أسرار الطبيعة واستخراج خيراتها والانتفاع بمواردها، ولقد اهتم الإسلام بحرية الإنسان فقد كان يمنح كل إنسان حق الحرية فمثلا منح السيدات من التفرقة بينها وبين زوجها ثم خطا خطوة ثانية وهى العتق، فكان النبى ﷺ يشترى العبيد ليعتقهم، وكان يساعد العبيد المملوكين لغيرهم على شراء أنفسهم، وكان يرغب المسلمين بالعتق ويذكر لهم عظمة ثوابه حيث كان يقول: (أيما رجل أعتق، أمرًا مسلمًا استنقذ الله بكل عضو منه، عضوًا من النار).

وكان يقول أيضًا: (أيما رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران).

٢. الحرية الداخلية:

أو حرية الإرادة والاختيار الباطنى عند الإنسان: وهى التى دار البحث حولها من قبل علماء العقيدة (علماء الكلام) والفلاسفة والمفكرين الإسلاميين، وغير الإسلاميين، وانتهى البحث فيها إلى مذاهب وآراء شتى، فذهب فريق أمثال الأشعرى وغيره، إلى أن الإنسان كائن مجبر، لا يملك القدرة على الاختيار، فالأفعال تجرى عليه كما يجرى الماء فى النهر. فنحن نقول: جرى الماء فى النهر، وليس للماء حرية ولا إرادة فى اختيار الجريان فى النهر، بل يجرى بقوة قاهرة خارجة على ذات الماء.

وكذا الأفعال التى ننسبها إلى الإنسان، فهى أفعال الله تجرى بواسطة الإنسان، وليس الإنسان هو الفاعل الحقيقى لتلك الأفعال، وفسروا دور الإنسان بالكسب. وهكذا جردت هذه النظرية الإنسان من الحرية والاختيار، فى حين ردت آراء إسلامية أخرى على هذا الاتجاه، واعتبرته معارضًا لعقيدة التوحيد التى تؤمن بعدل الله سبحانه وتعالى، وتنزهه عن الظلم، فكيف يجرد الخالق سبحانه الإنسان من الاختيار، ويجرى عليه أفعاله، ثم يحاسبه عليها، وهو لا يملك القدرة على الفعل والترك فيما فرض عليه، بل ما قيمة الأمر والنهى من قبل الله تعالى إذا كان الإنسان لا يملك القدرة على الاختيار.

فالإنسان وفق الرؤية القرآنية ومنطق العقل الإسلامى، يجب أن يكون مختارًا وحرًا، ليكون مسئولًا، وليجرى عالم الإنسان وفق عدل الله تعالى، فلا مسئولية بلا حرية، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد: ١٠].

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢].

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

٣. حرية العقيدة:

ـ الحرية ثمرة الأديان السماوية المعبرة عن التعبير الصحيح والجرىء للعقيدة التى تأخذها مآخذها من القلوب فلا تتأثر بتهديد أو وعيد.

ـ إن المعنى الأساسى الذى يدور عليه مفهوم الحرية هو ممارسة الإنسان اختياراته ورغباته دون إكراه. فالإسلام بما أنه دين فطرة فهو يحمى حرية الإنسان ويتجلى ذلك بوضوح فى تبنى عقيدة سليمة لا يجبره أحد على تغيرها بآ سبب من أسباب القهر والاستعباد.

ـ هناك تلازم واضح بين حرية العقيدة وحرية الرأى، فالاستقلالية فى الرأى وعدم التبعية من سماتها معا، فالإنسان حر فى الإسلام فى تكوين رأيه بناء على تفكيره الشخصى دون تبعية أو تقليد لأحد ما دام بعيدًا عن الضرر بالمجتمع وسلامته. والرسول المصطفى ﷺ يقول: (لا يكن أحدكم إمعه يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت. ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسنوا، أن تحسنوا وإن أساوا أن تجنبوا إساءتهم).

ـ ويرى بعض المفكرين أن الحرية تقوم على قاعدتين عظيمتين هما المشورة والمساواة فالبمشورة تتميز الحقوق بالمساواة تنتظم أجزاؤها ويضطر نفاذها. والإسلام لم يتركها مطلقة العنان والفوضى بل وضع حسابًا للمجتمع وللأهداف العليا للدين يدرك أهميتها:

ـ يقرر الإسلام أنه لا يجوز أن يرغم أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾.

ـ ويقول مخاطبا الرسول ﷺ "لو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين".

ـ وعلى هذا المبدأ سار المسلمون فى معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى فكانوا يبيحون لأهل البلاد التى يفتحونها أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة.

ـ وكانوا فى مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم وفى هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له..

"هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، ولا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حبرها ولا من صلبهم. ومع أن الإسلام يجعل الرجل قواما على امرأته فى كل ما يحقق صالح الأسرة والصالح العام فإنه لا يجيز للمسلم المتزوج كتابية (يهودية أو نصرانيهة) أن يرغمها على ترك دينها بل لا يجوز له أن يمنعها من أداء عبادتها وشعائرها بل أن بعض المذاهب ليرى أنه ينبغى له أن يصحبها إلى حيث تؤدى هذه العبادات فى كنيستها إذا ارغبت فى ذلك.

ـ يقرر الإسلام حرية المناقشات الدينية وينصح للمسلمين أن يلتزموا الأدب والمنطق فى مناقشاتهم مع أهل الأديان الأخرى وأن يكون عمادهم الإقناع وتقديم الحجة بالحجة والدليل بالدليل.

٤. الحرية الاجتماعية:

وإذا كانت الحرية الداخلية أو الذاتية تتمثل فى القدرة على الاختيار والترك، فإن الحرية الاجتماعية هى الحرية التى يمنحها القانون والأخلاق والمجتمع للفرد، ويعطى حق ممارستها فى المجتمع. ويجب أن تتعامل معه السلطة والمجتمع وفقها،

مثل حرية الفكر والسياسة والتملك وغيرها.

لقد انطلق الإسلام مع الإنسان الحر المختار، فوهبه حرية الفكر، وحرية السلوك، وحرية التملك وحرية العمل، والحرية السياسية، غير أنه قرن الحرية بالالتزام والمسئولية.

إن أخطر ما يواجهه الإنسان المسلم اليوم هو الإرهاب السياسى الذى يصادر إرادته وحريته.. ومعظم شعوب العالم الإسلامى لا تملك مصيرها السياسى، ولا تملك حق إبداء الرأى أو مناقشة السياسة القائمة، والمشاركة فى التخطيط لشئونها ومصالحها. والإسلام أقام الحياة السياسية على أساس الحرية السياسية، أقامها على أساس الشورى والتشاور ومشاركة فئات المجتمع ورقابتها للسلطة، وثبت هذا المبدأ فى القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة: ٧١]. ومن هنا انطلق فى إعطاء أفراد المجتمع حق اختيار حكام وولاة أمورها غير المعصومين وفق مواصفات مبدئية محددة، ومنحها المحاسبة والرقابة.

بل وأمر الله نبيه الكريم ﷺ أن يستشير أمته ليدربها على حياة الشورى، وإحترام رأى الآخرين وإشراكهم فى صناعة مصيرهم.

لقد خاطب الله سبحانه نبيه بقوله:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبذلك حدد القرآن الكريم علاقة القائد السياسى بأفراد المجتمع إلى يقودها، بأنها علاقة حب واحترام ورحمة ومرونة ومشورة، وهذه المبادئ قيم دستورية

ثابتة فى الفكر السياسى الإسلامى مشرعة لتسير الأمة على هديها، وتستنير بضوئها. إن السبب الأساسى فى ركود الأمم وتخلفها، هو طبيعة الأنظمة والسلطات الحاكمة، فإن الاستبداد السياسى والأنظمة التى لا تحترم مصالح الأمة تسببت فى عالمنا الإسلامى بتضييع ثروات الأمة، وطاقاتها المبدعة، وجعلت منها أمة متخلفة تتلاعب قوى الاستعمار والصهيونية بمصيرها ومصالحها وثرواتها وخيراتها وإمكاناتها.

٥. الحرية المدنية:

ـ يقصد بالحرية المدنية: الحالة التى تجعل الشخص أهلا لاجراء العقود وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول والتصرف فيما يملك. وقد منح الإسلام هذا الحق لجميع الأفراد ما عدا الصبى والمجنون والسفيه. والسفيه هو المبذر الذى يبدد أمواله وينفقها فيما لا يحقق مصلحة له ولا لأهله، وقد استثنى الإسلام هؤلاء وقاية لمصلحتهم هم من جهه ومصلحة ورثتهم ومصلحة المجتمع والنظام الاقتصادى العام من جهة أخرى لهم.

ـ ولا يفرق الإسلام بين الناس فى هذا الحق تبعا لاختلاف شعوبهم وطبقاتهم أو تفاوتهم فى الأنساب بل جعلهم كلهم فى ذلك سواسية كأسنان المشط كما يعبر الرسول ﷺ، ويسوى الإسلام كذلك فى هذا الحق بين المسلمين وغير المسلمين فيقرر أن الذميين فى بلد إسلامى أو فى بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق مدنية وتطبق عليهم القوانين نفسها.

ـ سار الإسلام حيال الحرية الدينية على أساس سمحة نبيلة فلم يلبث أن استفز وتبينت للناس تعاليمه حتى قرر فى هذا الصدد أربعة مبادئ هى أسمى ما يمكن أن يصل إليه التشريع فى حرية الأديان والمعتقدات، وهى:

ـ حرية الاعتقاد الدينى وتحريم الاكراه فى الدين.

ـ حرية المناقشات الدينية.

ـ اشتراط اليقين والاقناع فى صحة الإيمان.

ـ إباحة الاقتصار فى فروع الشريعة لكل قادر عليه.

٦. الحرية السياسية:

ـ يقصد بالحرية السياسية أو الحقوق السياسية السلطات المقررة للأشخاص باعتبارهم أعضاء فى هيئة سياسية والتى تمكنهم من الاشتراك فى نظام الحكم.

ـ وتشمل هذه الحقوق كل ما يساهم به الفرد فى إدارة شئون البلاد أو فى حكمها ولعل أهم هذه الحقوق حق الانتخاب وحق الترشيح وحق تولى الوظائف العامة.

ـ فقد نص الأعلان العالمى لحقوق الإنسان فى مادته الحادية والعشرين على ذلك حيث جاء فيما مايلى:

* لكل فرد حق الاشتراك فى الشئون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين منتخبين انتخابًا حرًا.

* لجميع الأفراد على السواء الحق فى الالتحاق بالوظائف العامة فى بلادهم.

* إرادة الشعب هى مصدر سلطة الحكومة ويعبر الشعب عن إرادته بانتخابات دورية حرة تجرى على أساس الاقتراع السرى الذى يشترك فيه الجميع على قدم المساواة أو على أساس أى إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

ـ إن قيام الشعب بانتخاب حاكمه أو رئيسه يضمن له حماية حقوقة من استبداد الحكام. وكلما عمم تطبيق حق الانتخاب فى تشكيل السلطات المتعددة للدولة يكون النظام القائم ديمقراطيًا.

ـ ويراد بمبدأ الديمقراطية فى المفهوم الوضعى حكم الشعب للشعب القائم

على سيادة الشعب وإنه الحكم الفصل فى إتخاذ القرارت السياسية والاقتصادية وسائر القرارات الأخرى.

ـ وعرفت الشسريعة الإسلامية مبدأ الانتخاب الذى يقضى إلى اختيار الأصلح والأحق دون غيره فالرسول الكريم ﷺ عن أبى هريرة يقول: (إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم) أى أجعلوا أميرًا عليكم.

ـ وأمرنا الله سبحانه وتعالى برد الأمر المتنازع فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه لا للأكثرية فى النظام الديمقراطى قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

ـ وضعت الشريعة الإسلامية شروطا خاصة لمن يتولى اختيار الإمام أو الخليفة أو الحاكم من أهل الحل والعقد لأنهم يقومون بواجب التحقق من أحوال المرشحين ومدى توافر الشروط فيهم.

ـ وبما أن الحرية منحه من الله سبحانه للإنسان لاحقًا طبيعيًّا كما يراه الفلاسفة ومفكروا الغرب. فالإسلام وضع تشريعات كفيلة للحقوق.

ـ والحريات يكون أساسها أصول الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) ورسم كيفية الحقوق والحريات حيث لا اعتداء ولا تعسف.

الحرية والحقوق العامة للمرأة

حرية المرأة فى العقيدة والعبادة:

لقد كفل الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد (العقيدة) فالإسلام لا يعطى الرجل سلطانًا على دين زوجته فليس له أن يكرهها على تغيير دينها يهودية كانت أو نصرانية بل تبقى معه اليهودية يهودية كما كانت وتبقى النصرانية نصرانية كما

كانت يقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾.

فلا تتحول واحدة من هؤلاء عن دينها إلى دينه إلا بمحض إرادتها، فالله عز وجل يقول ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ ـ كما ذكرنا سلفًا.

إلى هذا الحد يحيط الإسلام المرأة بكافة ضمانات الحرية الكاملة فى التصرف ولا هيمنة للرجل على زوجته حتى فى حرية العقيدة، فالمرأة لها الحرية فى أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بها كما للرجل الحرية فى أن يعتقد العقيدة التى يقتنع بها فلا يستطيع الرجل أن يفرض عقيدته على امرأته، وللمرأة أن تعتقد ما ترى كإنسان له حرية الإعتقاد ويتحدث القرآن الكريم عن نساء كافرات فى بيوت أنبياء، ونساء مؤمنات فى وسط كفار.

أ ـ ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة بنى لوط:

فسيدنا لوط عليه السلام الرسول الذى جاء ليهدى الناس ويحملهم على منهج الله لم يستطع أن يقنع امرأته (زوجته) ـ بمنهجه، وظلت مخالفة لذلك المنهج وكذلك زوجة سيدنا نوح عليه السلام، فيقول الله عز وجل: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ فلا كرامة ولا شفاعة فى أمر الكفر والإيمان، وأمر الخيانة فى العقيدة حتى لأزواج الأنبياء، والمأثور فى خيانة امرأة نوح وامرأة لوط أنها كانت خيانة فى الدعوة وليس خيانة الفاحشة، فامرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه، وامرأة لوط كانت تدل القوم على ضيوفه، وهى تعلم شأنهم مع ضيوفه، ويظهر هنا مبدأ

التبعية الفردية فكل امرأة أو زوجة عليها نفسها بعد كل شيء فهي مسئولة عن ذاتها ولن يعفيها من التبعية، ولم ينفع واحدة منهما أنها زوجة نبي أو صالح من المسلمين فمن لم يسرع به عمله لم يسعفه نسبه.

ب ـ وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة طاغية كافر:

بعد ذلك يعرض القرآن الكريم القضية المقابلة وهى قضية فرعون الذى ادعى الألوهية وبرغم ذلك لم يستطع أن يدخل فى روع زوجته هذه العقيدة الضالة، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقد وردت حرية المرأة فى العقيدة والعبادة ـ فى أحد المراجع ـ على النحو التالى:

كانت المرأة فى عهد الرسول ﷺ تمارس حقها كاملا فى العقيدة والعبادة فلها أن تدخل الإسلام أو تظل على النصرانية "المسيحية" أو اليهودية ما دامت أديانًا سماوية فلم يرغم رسول الله ﷺ أى زوجة من زوجاته اللاتى كن على النصرانية أو اليهودية بالدخول فى الإسلام ولكن تركهن وحريتهن فاخترن الإسلام فقد كانت صفية بنت حيى من بنى النضير اليهود فأسلمت برغبتها بعد أن خيرها رسول الله ﷺ والرجوع إلى أهلها. أما ريحانة بنت زيد بن عمر فقد كانت من يهود بنى قريظة وقد خيرها النبى ﷺ بين الإسلام واليهودية ثم تركها فترة حتى اعتنقت الإسلام طواعية، كما خيرها بين أن تكون ضمن أزواجه أو ما ملكت يمينه فاختارت الأخيرة. كذلك مارية القبطية اعتنقت الإسلام برغبتها.

وبذلك نرى موقف النبى ﷺ من الحرية الدينية للمرأة فى داره وبيته وقد أعطى الإسلام الحرية للمرأة فى اختيار البقاء على دينها ولها أن تتزوج من المسلم وتكون

معه أسرة وأبناء وتكون لها القوامة على الأسرة بعد الزوج وتمنحهم مبادئها وأخلاقها وهى على دين غير دين الإسلام مسيحية أو يهودية ما دامت أن القوامة الكبرى فى النهاية لرجل وأن الأبناء يكونون مسلمين ولها أن تمارس حريتها فى العبادة كما تشاء.

ـ أما عن المرأة المسلمة فلها أيضًا حرية العبادة وحرية قيام الليل وارتياد المساجد فى كل وقت من أوقات الصلاة وكان من الصحابيات فى عصر الرسول ﷺ من تقوم الليل ولا تنام الليل تتعبد فيه، ومن الزاهدات فى ذلك مثل الرجل حتى القرشية أنها لا تنام الليل وتتعبد فقال لها (إن الله لا يمل حتى تمله وأكلفوا من العمل ما لكم به من طاقة) فكان رسول الله ﷺ قوله (لا تمنعوا أماء الله مساجد الله) كذلك قوله فى حديث أخر عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ (إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها).

وقد كانت عائشة بنت زيد بنت ثقيل شديدة الحرص على صلاة الجماعة فى المسجد النبوى وكانت تشترط على كل من يتزوجها ولا يعرفها ذلك حتى أنها عندما تزوجت من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أمير المؤمنين اشترطت عليه ذلك فأذن لها.

الحقوق العامة للمرأة:.

كفل الإسلام للمرأة حرية الاعتقاد فلا إكراه فى الدين وجعل القرآن الكريم للمرأة الحق فى المبايعة على السمع والطاعة والقيام لحدود الشرعية وأحكامها وجعل الإسلام للمرأة الحق فى أن تشير وتستشار، ورسول الله ﷺ نفسه أخذ بمشورة السيدة أم سلمة فى موقف عصيب عقب صلح الحديبية.

ـ وللمرأة الحق فى نقد زوجها ومراجعته، فزوجات النبى ﷺ كن يراجعنه

ويناقشنه أوامره وتهجره الواحدة منهن إلى الليل وشاركت المرأة فى الهجرة إلى الحبشة وهجرة بيعة العقبة الثانية والهجرة الكبرى إلى يثرب.

ـ وشاركت المرأة فى الجهاد فى عهد الرسول ﷺ لخدمة الرجال وتمريض الجرحى وكان رسول الله ﷺ يقرع (يجرى قرعة) بين نسائه إذا أراد السفر لغزو أو حج. ولم يقف التشريع الإسلامى بالمرأة عند حد إباحة خروجها مجاهدة بل احترام أمانتها وذمتها فلها الحق فى الإجازة والأمان فى الخصومة والتقاضى فتكون مدعية ومدعى عليها وشاهدة ومشهود عليها منفردة ومجتمعة. وساوت الشريعة بين الرجل والمرأة. وأعطى القرآن الكريم المرأة الحق فى التملك ملكًا خاصًا بها وهى صاحبة السلطان فى إدارته والتصرف فيه، وليس للرجل حق التصرف إلا بإذنها ورضاها، ولها الحق الكامل فى الميراث أمًا وأختًا وزوجة وبنتًا، واعتبر الصداق حقًا خالصًا لها.

وفيما يلى أهم آراء العالم الجليل المرحوم الأستاذ عبد الحليم أبو شطة (والذى قدم لكتاباته فضيلة الشيخ محمد الغزالى) ـ فى أحد مجلداته ـ حول القضايا التى تثار حول وضع المرأة ومكانتها ودورها فى مختلف المجالات فى الحياة، منها: ـ

ـ إن قول الرسول ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال" يعنى تقرير المساواة بينهما، مع قدر من الاختصاص فى بعض المجالات.

ـ آيات القرآن الكريم حول القرار فى البيت، والحجاب كانتا من خصوصيات نساء النبى ﷺ، وأن كرائم الصحابيات لم يقتدين بأمهات المؤمنين فى هذين الأمرين.

ـ سفور وجه المرأة من سنن الفطرة، وإذا كان فيه بعض الفتنة، فهى من فتن الحياة الدنيا، وهو من سنن الأنبياء عليهم جميعًا الصلاة والسلام، وكان هو الغالب فى مجتمع المسلمين على عهد النبى محمد ﷺ.

ـ النقاب ـ الذى يبرز العينين ومحجريها ـ كان مجرد طراز من طرز اللباس والزينة عند بعض النساء فى الإسلام وبعده.

ـ الزينة المعتدلة فى اللباس والوجه والكفين مشروعة فى حدود ما يتعارف عليه مجتمع المسلمين، ولا حرج فى تعداد الألوان والطرز حسب الظروف المناخية.

ـ مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية من سنة نبينا وسنة الأنبياء من قبله.

ـ مشاركة المرأة فى العمل المهنى وفى النشاط الاجتماعى والسياسى، وذلك فى حدود ظروف المجتمع.

ـ إطراد لقاء المرأة للرجال (ما نطلق عليه الاختلاط) فى عصر الرسالة فى المجالات الخاصة والعامة، كان تيسيرًا على المؤمنين والمؤمنات، واستجابة لحاجات الحياة الجادة الخيرة.

ـ تأكيد حق اختيار المرأة لزوجها، وتأكيد حقها فى المفارقة.

ـ حقوق الزوجين متماثلة ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ كما فى الآية الكريمة ـ والدرجة التى يندرج الرجال إليها ـ كما يقول الإمام الطبرى ـ هى (الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب له عليها، وأداء كل الواجب له عليه) ومن هذه الحقوق: اللطف والثقة وحسن الظن والتجمل والمشاركة فى الهموم وفى الترويح.

ـ إن الهدى النبوى يوفر لنا الثقافة الجنسية، ومنها بعض فنون المتعة الجنسية مما يحقق نفسية ينعم بها الرجال والنساء، كما يدعونا هذا الهدى إلى إزالة الهالة الضخمة من التعتيم التى نحاصر بها كل ما يتصل بالأمور الجنسية من قريب أو بعيد.

إن فضيلة الشيخ الغزالى فى مقدمته لهذا الكتاب يقول: (وددت لو أن هذا الكتاب ظهر من عدة قرون).

الرق فى الإسلام:

ـ وهذه مسألة كثر فيها الكلام ورمى فيها الإسلام بشتى التهم الباطلة والدعاوى المفتراة، وهى تشبه إلى حد ما مسألة المرأة فى الملامح والظروف.

ـ ونظام الرق لا تخلو منه حضارة من الحضارات المشهورة والمهملة وتاريخ العبيد يحمل من المآسى ما هو أكثر وأمر مما يحمله تاريخ المرأة ومن قبل ذلك كانت اليهودية تبيح الرق ولقد وجد عن اليهود نوعان من الاسترقاق أحدهما استرقاتق بعض أفراد منهم بسبب ارتكاب خطيئة من الخطايا المحظورة شرعًا أو فى دين عليه وكان لهذا الرقيق أن يتحرر بعد مضى ستة سنوات عليه. والنوع الأخر استرقاق غير اليهود ممن كتب عليهم أن يصيبهم شىء من أذى اليهود وحروبهم التى كانوا يقيمونها.

ـ وجاء الإسلام فوجد أن هذه المسألة فوق أنها شىء مألوف فى كل زمان ومكان ارتبطت بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية وأصبحت من أهم الدعائم التى تعارف عليها نظام الحياة.

ـ فقد جاء الإسلام وحرم الرق بجميع صوره إلا رقًا لتجلبه حرب شرعية، القصد منها رد العدو المهاجم وإعلاء كلمة الله كما حرم استرقاق المسلم لأبوين مسلمين.. ومن أسلم من الأسرى.

ـ أما من تراخى فى إسلامه فلا بأس فى أن يظل فترة يسترد بعدها حريته وقدم أمر وليه أن يتحرى صدق إسلامه فإن وجده صادقًا سعى فى أن يعتقه ويعطيه

حريته ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾.

ـ ولقد عالج الإسلام مشكلة الرق.. على النحو التالى:

١ ـ إخبار النبى ﷺ أصحابه بأن العتق من الرق من أفضل العبادة وأقربها قبولًا عند الله.

٢ ـ أنه جعله كفارة لبعض الخطايا والخنث فى بعض الأيمان (أن يقسم الشخص قسم ولم ينفذه).

٣ ـ أن مكاتبة العبد مستحبة بالإجماع.

٤ ـ إذا امتنع المكاتب عن الأداء ومعه ما بقى فالحتمية تجبره على الأداء.

٥ ـ يراعى فى عقد الكتابة حالة الرقيق فأقل وعد من السيد ينفذه ويعتق العبد.

أقوال ورؤى حول الحرية:

سوف نقدم خلال العرض التالى أقوال ورؤى عددًا من العلماء والكتاب والمفكرين حول الحرية، تلخص قيمة وقدر الحرية ـ والتى وردت فى بعض المراجع فى المواقع: ـ

ـ يرى البعض أن مفهوم الحرية مفهوم زئبقى، كلما اعتقدنا أننا قبضنا عليه، يعود ليفلت من جديد، فإذا كنا نتفق على أن الحرية هى القدرة على التصرف بأفكارنا وسلوكها فى نظام غير محتوم، وأنها هى الحقيقة الأولى السابقة على كل حقيقة، فإننا نتفق أكثر على أن هناك تفاعلا مستمرا وتداخلا متصلا، بين الذات التى تتصرف من جهة وبين المواقف ـ أو الظروف ـ التى تجد نفسها إزاءها من جهة أخرى. وقد يستحيل فى بعض الأحيان أن نجد نصيب الحرية ونصيب

الظروف فى كل فعل من الأفعال التى تقوم بها الذات الإنسانية. فالحرية الإنسانية ليست حرية مطلقة، بل هى دائما حرية مجاهدة ـ liberte mihitante.

ـ إن الحرية حاجة إنسانية أصلية فى الإنسان، مصدرها الشعور الشخصى بامتلاكها وممارستها فى مناشط مجالات الحياة المختلفة، وبالتالى فهى ليست لغزا مبهما يصعب تفسيره وفهمه وتعقله، وكونها حاجة إنسانية فإنها تكتسب مشروعيتها العملية من خلال التزامها بجملة قواعد وضوابط وشروط، تكفل للإنسان تلبيتها والتعبير عنها والحفاظ عليها، أساسها احترام حرية الأخرين، وعدم النيل منها، لذا تخضع الحرية لاعتبارات أخلاقية واجتماعية وقانونية، فالإنسان حر فى فكره وقوله وفعله وسلوكه، متى التزم باحترام الأخرين وعدم إلحاق الأذى بهم.

ـ والحرية الإنسانية بصورتها الفردية والمجتمعية، قضية مقدسة، أساسها الحق الطبيعى باعتبارها حاجة فطرية لا مكتسبة. من ناحية أخرى فإن الغاية النهائية للحرية هى البناء لا الهدم، رغم اتخاذها من جدلية الهدم والبناء أسلوبا لتحقيق البناء المستمر فى حياة الإنسان الفاعل فى حياته ومجتمعة وعالمة.

ـ إن الحرية شرط أساسى لإظهار الحق والتمتع به، فمن لا يعرف حقه لا يعرف حريته. إن الحرية مطلب عام لجميع معطيات الحياة: سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو إنسانية أو ثقافية أو دينية.

ـ إن الحرية حق واجب حتى تستمر حياة البشر فلا حياة لأى إنسان بدون حرية ولا يحق لأى إنسان مهما كانت سلطته أن يقيد حق أى إنسان.

ـ الحرية هى الحياة ولولاها لكانت حياة الإنسان أشبه بلعبة كبيرة فى أيدى الأطفال.

ـ الحرية شمس يجب أن تشرق فى كل نفس، فمن عاش محروم منها عاش فى ظلمه كاملة لا سبيل إلى السعادة فى الحياة إلا إذا عاش الإنسان فيها حرًا طليقًا، فالحرية حق واجب على كل إنسان.

ـ يجب أن يكون لدى كل إنسان قسط من الحرية يتصرف من خلالها، ولكن الحرية لا تعنى الانحراف الشخص عن قواعد دينية وقواعد المجتمع الذى يعيش فيه فالحرية يجب أن تكون مصحوبة ببعض من الرقابة وأيضًا الثقة فى الشخص الذى نعطى له هذه الحرية، فالحرية الشخصية تنادى بها جميع الأديان السماوية، لأن الله خلق الإنسان حر فى اختيار دينه، إذن فلابد أن يعطى الإنسان للإنسان حريته فى اختيار كل شىء لأن الرقابة الشديدة والحماية الزائدة، لا تعطى للإنسان حريته وبالتالى لا يكون لديه ثقة فى نفسه ولا ثقة فى الآخرين.

ـ إن الحرية سلاح ذو حدين حيث أن الحرية المطلقة دون قيود تؤدى بصاحبها إلى الإنحراف والخروج عن عادات وتقاليد المجتمع المعروفة وهذا لا يدعو إليه الدين ولكن دعا إلى الحرية مع حدود متسامحة حيث أنه ترك حرية العقيدة تسير فى طريقها دون قيود من خلال أن يختار كل شخص الدين والعقيدة التى تناسبه كإنسان وكما يرى من وجهة نظره وحريته الشخصية.

ـ لا يقصد بطبيعة الحال إقرار الإسلام للحرية أنه أطلقها من كل قيد وضابط لأن هذا أقرب ما يكون إلى الفوضى التى يثيرها الهوى والشهوة ومن المعلوم أن الهوى يدمر الإنسان أكثر ما يبنيه وذلك مع من يتبعه.

ولكن الإسلام أعطى لكل واحد حريته كيفما كان سواء كان فردًا أو جماعة ومع ذلك وضع قيودًا ضرورية تضمن حرية الجميع وتتمثل الضوابط التى وضعها الإسلام فى التالى:

ـ ألا تؤدى حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام للمجتمع وتقويض أركانه.

ـ ألا تفوت حقوقا أعظم منها وذلك بالنظر إلى قيمتها فى ذاتها ورتبتها ونتائجها.

ـ ألا تؤدى حريته إلى إضرار الآخرين.

وبهذه القيود والضوابط نجد أن الإسلام لم يقر الحرية لفرد على حساب الجماعة كما لم يتيحها للجماعة على حساب الفرد ولكنه وازن بينهما فأعطى كلا منهما حقه.

ـ إن الحرية عبارة عن التعبير عن الرأى بدون التعدى على الآخرين وتقبل الاختلاف والتعايش معه وليست معناها فعل ما أريد دون النظر إلى المبادىء والقيم الاجتماعية والدينية.

ـ ليست الحرية الشخصية أن لا ابالى بمن حولى وأن لا أهتم بالأخطاء التى تصدر منهم. ومن أهم الأشياء التى تدل على الحرية هى:

ـ عدم اكتساب مهارات وأراء من الآخرين.

ـ أن أكون محبوبًا بين الناس.

ـ أن يكون من حولى مقتنع برأيى.

ـ أن يكون رأيى صحيح وواضح والآخرين واثقين فى هذا الرأى.

ـ أن أسير على الطريق الصحيح والتقرب من الله سبحانه وتعالى.

ـ إن الحرية الشخصية ليست معناها ممارسة ما منعة الله

ـ إن من أهم الأشياء فى حياة الإنسان وسائر المخلوقات التى خلقها الله سبحانه وتعالى هى الحرية فالفرد الحر هو الذى يملك أمره واختياره، ولا يمكن لأحد إجباره على فعل أى شىء هو لا يريد عمله.

ـ ولكن لا يوجد مانع أن أفعل شيء أحد قاله لى، ولكن عندما أتأكد أنه يناسبنى ويتوافق معى، وهذا لا يمكن أن نقول عليه تعدى على حريتى لأنه فى أول الأمر وأخره قرارى أنا.

ـ يجب على كل فرد يحب الحرية ويريد أن يتحلى بها أن يراعى أهم شيء وهو الضمير لأن الحرية بدون الضمير سوف تكون من أسوء الأشياء، وفى هذه الحالة لا يمكن لنا أن نطلق عليها حرية، ولكن فى ذلك الوقت تسمى أنانية، لأن الفرد يقوم بعمل شيء يناسبه هو ويضر بغيره، وهو لا يتوقثف لدقائق لكى ينظر إلى حالة الشخص الذى بعمله هو أوقع غيره فى كارثة.

ـ لا تكون الحرية للإنسان فقط فالحرية إذا أضيفت لسائر المخلوقات زادتها جمالا فالعصفور وهو حر نسمع منه أجمل الأصوات بعكس عندما يكون محبوس فى قفص شخص ما أجبره على الوجود داخله.

ـ إن من أصعب الأشياء التى لا يتمناها أى إنسان هو حكم النفس على النفس أى معناها أن شخص مثلك يتحكم فى كل شيء يخصك أنت.

ـ إن الدول المتقدمة المتحضرة إذا نظرت فى نظام حكمها حتى تعرف كيف أصبحت متحضرة وراقية ومتطورة فسوف تجدها تطبق نظام الحرية والديمقراطية أى يدلى كل فرد برأيه ثم تختار الأفضل والأمثل.

ـ إن حقوق الإنسان تبقى مهددة فى كل زمان ومكان برغم التقدم الذى أحرزته البشرية فى كل المجالات. وعلى الإنسان أن يبقى يقظًا ومتحفزًا للدفاع عن حقوقه المغتصبة وحريته.

ـ إن الذات الإنسانية لها ذلك الوجود الذى من شأنه أن يختار الإنسان نفسه بنفسه، ولهذا ليس ثمة شك فى أن الحرية هى الخير الوحيد الذى يتطلبه المرء بشكل مطلق. والواقع أننا حين نتحدث عن الحرية فإنما نعنى بذلك الخير الذى

يعدو سائر الخيرات لأنه لن يكون فى وسعنا بدون الحرية أن نمتلك أى خير أو أن نستمتع بأى خير.

ـ ليس هناك إساءة يمكن أن توجه إلى الإنسان بأعظم من معاملته معاملة العبيد، وليس هناك فى الوجود إنسانا واحدًا يقبل مثل هذه المعاملة. فالإنسان الذى يتخلى عن إنسانيته ليس إنسان.. وهذا هو السبب فى أن كلمة الحرية لها قدر كبير فى نفوسنا حتى أن الحياة نفسها لتفقد فى نظرنا كل قيمتها بدون حرية.

ـ دائمًا ما يختلف مفهوم الحرية من فرد إلى آخر ومن جيل إلى جيل، حتى داخل الأسرة الواحدة حيث نجد أن مفهوم الأباء للحرية يختلف عن نظرة الأبناء وهو ما يؤدى إلى الصراع الأبدى المعروف باسم صراع الأجيال، ولكى يقول الإنسان أنا حر فعليه ألا تؤدى حريته إلى تهديد سلامته أو تهديد النظام العام للمجتمع.

ولا تؤدى حريته إلى الأضرار بحرية الآخرين ولكى يكون حرًا فعليه الموازنة. فنرى أن الحرية توسط واعتدال لضمان السلامة.

ـ إن التعبير السائد عند كل شخص هو "أنا حر .. أنا حرة" وهذا صحيح ولكن يجب التميز بين الحرية المطلقة والحرية المقيدة، فجميعنا أحرار حرية مقيدة لها حدود وتحكها ثوابت وعادات وتقاليد، ولكن من يعطى نفسه الحرية المطلقة ويستخدمها فى السيطرة والإذلال، هذا هو المعنى الخاطىء للحرية. ومشكلة الحرية موجودة لدى جميع الشعوب وهى مشكلة يجب الاهتمام بها ومعالجتها معالجة صحيحة.

ـ إن الحرية سلاح ذو حدين، فهى نافعة ولازمة إن سارت فى طريق سليم. وإذا انحرفت فإنها تضر الإنسان ومن حوله.. وإن الحرية الحقيقية هى:

أن يتحرر الإنسان من كل فكر خاطىء، ومن كل طبع ردىء، ومن كل شهوة منحرفة، ومن كل خطيئة. ومثل هذا الإنسان إذا منح الحرية فإنه سيسلك فيها بأسلوب سليم نافع له ولغيره.....

لذلك على طالب الحرية، أن يتحرر أولا من الداخل... وبهذا يمكنه أن يستخدم الحرية للخير.

ـ إن الحرية من الموضوعات بالغة الأهمية فى وطننا الحبيب وجميع الأوطان وهى أفضل السمات التى يتمنى كل فرد أن يمتلكها ويستخدمها ولكن بطريقة صحيحة وأن يراعى فى استخدامه لها الضمير أولًا وأخيرًا، ومراعاة حدود حريته حى لا يتعدى على حرية الأخرين. فإن الحرية فى تلك الحالة سوف تؤدى بصاحبها إلى مراتب العزة والشرف وإذا اتبع كل إنسان الحرية بتلك الشروط سوف نصبح أمة متقدمة ومتطورة.

* فما أعظم أن يكون كل فرد ومواطن حرًا لا يتحكم أحد فى آياته وأن يكون هو الشخص الوحيد الذى يملك أمره ولا يمكن لأحد أن يجبره على شىء ما وهو لا يريد عمله.

ـ الحرية هى أن يتحرر الإنسان مما يقيد نفسه من الانطلاق نحو أهدافه.... فكثيرا ما نضع قيودًا نكبل بها أنفسنا... بل والبعض أيضا يتعدى حدوده الشخصية ليتعدى على حدود الأخرين فيعوقهم عن تحقيق بعض أهدافهم.

ـ وأخيرًا الحرية تمنح الإنسان سعادة حقيقية تدفعه إلى الأمام وإلى المزيد من الإنجاز والسمو والارتفاع وتجعل وجهه طلقا بشوشًا ينجذب إليه كل من يراه... ربما لأن أخطاءه ليست كثيرة ولأنه يسعى أن يحمى ضميره من أن يحاسبه أو يؤدبه على أخطاء كثيرة ويكون إيجابى وفعال ومرن فى تصرفاته، وأيضًا بحكمة وعقلانية لا يدع الأخرين يتعدوا على حريته الشخصية..

وقال أحد الشعراء:

فكم أنت جميلة أيتها الحرية

تمنحى العتق والنجاة للنفس المسبة

الخاتمة

إن موضوع الحرية هو من أسمى الموضوعات التى تعرض على الجميع فى الوقت الراهن فهى مطلب سامى تدعو إليه جميع المنظمات العالمية ولقد نادت الأديان ونادى القرآن الكريم منذ بعيد الأزمان بحق الإنسان فى الحرية وحقه أن يحيا حياة كريمة قبل هذه المنظمات مما يجعلنا أن نفتخر بذلك.

لقد اتضح المعنى الأمثل لها وهو أن الحرية لا تقتصر فقط على الحرية السياسية بل أنها تتنوع وتشمل أيضا الحرية الشخصية التى تخص كل فرد وأيضًا الحرية الاقتصادية والفكرية والاجتماعية وحرية العقيدة،...،...إلخ

وإن للإنسان حق فى الحياة وحق فى تولى الوظائف العامة وحق فى إنشاء الأسرة وحرية التنقل والسفر وغير ذلك من أنواع الحريات.

وأن ليس معنى الحرية بمفهومها العام الذى يفهمه الأخرين بأن الإنسان حر فى عمل ما يريد، وهذا مفهوم خاطىء، بل إن الإنسان حر فى بعض الأشياء إلا أن المجتمع يفرض عليه القيود التى يلتزم بها.

ومما لاشك فيه أن الحرية هى مطلب عزيز ويجب أن يسعى الجميع على الحفاظ على هذه الصفة التى خلقنا الله بها وهى أن الله خلقنا أحرارًا.

- وفى النهاية فالحرية هى حالة التحرر من القيود التى تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودًا مادية أو قيودًا معنوية، فهى تشمل تخلص الشخص أو الجماعة من الضغوط المفروضة عليه والعبودية من شخص ما لتنفيذ غرض ما، أو التخلص من الإجبار والفرض.
- ويقول أحد العلماء: "إما أن نحيا أحرارًا أو نموت أحرارًا. وإذا كان لا بد

من هلاكنا فعلينا أن نموت كما يليق بالأحرار، وإذا لم تكونوا أحرارًا من أمة حرة فحريات العالم عار عليكم" كما أن الحرية لا يفهمها إلا أصحاب النفوس الكبيرة الذين يرون الحياة حرية وعزة، وأن دماءهم رهن لحرية أمتهم وسيادتها، فالحرية ليست حرية العدم. بل هى حرية الوجود. والوجود حركة صراع العقائد فى سبيل تحقيق مجتمع أفضل، وكل أمة تريد أن تحيا حياة حرة مستقلة تبلغ فيها المثل العليا يجب أن تكون ذات وحدة روحية قوية.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١) أحمد زايد وآخرون (٢٠٠٢م): المرأة وقضايا المجتمع ـ مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ـ القاهرة.

٢) أحمد الأنصارى (٢٠٠٣م): الأخلاق الاجتماعية عند برتراند رسل ـ مركز الكتاب للنشر ـ القاهرة.

٣) بول . ف . بولو (١٩٧٨م): الحرية والقدر فى الفكر الأمريكى من أدواردز إلى ديوى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة.

٤) توفيق الطويل (١٩٩٤م): مفهوم الحرية ـ دار المعارف ـ القاهرة.

٥) جمال العطيفى (١٩٨٠م): أراء فى الشريعة والحرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة..

٦) جوت دى ـ ترجمة أمين مرسى (١٩٥٥م): الحرية والثقافة ـ مكتبة الإنجلو المصرية ـ القاهرة.

٧) جون ستيوارت هيل ـ ترجمة عبد الكريم أحمد، محمد أنيس (١٩٩٦م): الحرية (الجزء الأول) ـ مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة.

٨) حامد عامر (٢٠٠٧م): ثقافة الحرية والديمقراطية بين آمال الخطاب وآلام الواقع ـ مكتبة الدار العربية للكتاب ـ القاهرة.

٩) حسين الزناتى (٢٠٠٥م): الحريات الفكرية ـ دار المعارف ـ القاهرة.

١٠) رفيق حبيب (٢٠٠٦م): الحرية والفكر ت دار المسير ـ القاهرة.

١١) ر.م. هير ـ ترجمة يوسف ميخائيل أسعد (١٩٦٩م): الحرية والفكر ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

١٢) رياض شمس (١٩٤٧م): حرية الرأى وجرائم الصحافة والنشر ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة.
١٣) زكريا إبراهيم (١٩٦٣م): مشكلة الحرية ـ ط ٢ ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
١٤) زكى نجيب محمود (١٩٨٦م): عن الحرية أتحدث ـ دار الشروق ـ القاهرة.
١٥) سامى الشيخ محمد (٢٠٠٧م): فلسفة الحرية الإنسانية ـ عين غزال ـ حيفا ـ فلسطين.
١٦)سامية منسيس (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م): حرية المرأة فى الإسلام ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة.
١٧)سناء محمد سليمان (٢٠١٣م): محاضرات فى سيكولوجية التعلم ـ ط ٢ ـ عالم الكتب ـ القاهرة.
١٨)سناء محمد سليمان (٢٠٠٩م): فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء (الأطفال والمراهقين) ـ سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع ت الإصدار (١٩) ـ عالم الكتب ـ القاهرة.
١٩)السيد محمد تقى (٢٠٠٧م): التشريع الإسلامى ـ الجزء الثانى ـ دار قباء ـ القاهرة.
٢٠)فن الرازق رحيم صلال الموحى (٢٠٠٢م): حقوق الإنسان فى الأدباء السماوية ـ دار المناهج ـ عمان.
٢١)عبد الحميد سيد أحمد منصور، زكريا الشربينى (٢٠٠١م): السلوك الإنسانى بين الحرية والأرادية ومنظور علم النفس المعاصر ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة.
٢٢)عبد العزيز الخياطة (١٩٨٦م): المجتمع المتكافل فى الإسلام ت دار السلام ـ القاهرة.

٢٣)عبد العزيز جاويش (١٩٦٨م): الإسلام دين الفطرة والحرية ـ دار المعارف ـ القاهرة.

٢٤)عبد المنعم الحنفى (٢٠٠٣م): الموسوعة النفسية ـ علم النفس والطب والنفس فى حياتنا اليومية ـ ط ٢ ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة.

٢٥)عزت قرنى (٢٠٠١م): تأسيس الحرية ـ دار للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٢٦)عزت قرنى (٢٠٠٢م): طبيعة الحرية ـ دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٢٧)فاضل الصفار (٢٠٠٨م): ضد الاستبداد ـ دار الفاروق ـ القاهرة.

٢٨)فرانز رزونتال (٢٠٠٧م): مفهوم الحرية فى الإسلام ـ دار المدار الإسلامى ـ بيروت ـ لبنان.

٢٩)لجنة من الباحثين (١٩٨٠م): حصاد الفكر العربى الحديث فى قضية الحرية ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

٣٠)محمد تقى (٢٠٠٨م): الأخلاق ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

٣١)محمد زكى عبد القادر (١٩٩٥م): الحرية والكرامة الإنسانية ـ مؤسسة الخافجى ـ القاهرة.

٣٢)محمد سعيد رمضان البوطى (١٩٩٤م): حرية الإنسان فى ظل عبوديته لله ـ دار الفكر المعاصر ـ لبنان.

٣٣)محمد صلا عبد البديع السيد (٢٠٠٩م): الحريات العامة بين المشروع والقضاء ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

٣٤)محمد عطية الابراشى (٢٠٠٣م): روح الإسلام ـ مكتبة الأسرة ـ مهرجانات القراءة للجميع ـ مصر.

٣٥)محمد عمارة (٢٠٠٩م): الإسلام والأمن الاجتماعى ـ دار المعرفة ـ الإسكندرية.
٣٦)محمود مراد (١٩٩٩م): الحرية فى الفلسفة اليونانية ـ دار الوفاء للطباعة والنشر ـ الإسكندرية.
٣٧)مصطفى أبو زيد فهمى (٢٠٠٩م): الحرية والاشتراكية والوحدة ـ دار المعارف ـ الإسكندرية.
٣٨)مصطفى النشار (٢٠٠٩م): الحرية والديقمراطية والمواطنة ـ الدار المصرية السعودية ـ القاهرة.
٣٩)ملحمة قربان (١٩٨٧م): قضايا الفكر السياسى ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد) ـ مكتب الكتب العربية ـ بيروت.
٤٠)هالة أبو بكر سعودى، وحيد عبد المجيد (١٩٧٨م): الحرية وتعدد الاحزاب فى فكر الاشتراكية الديمقراطية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة.
٤١)ياسر قنصوه (٢٠٠٠م): مفهوم الحرية الليبرالية المعاصرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة.
٤٢)يزيد عيسى السورطى (٢٠٠٩م): السلطوية فى التربية العربية ـ سلسلة عالم المعارف ـ دار السياسة ـ الكويت.
٤٣)يوسف ميخائيل أسعد (١٩٩٢م): الحرية النفسية ـ مكتبة غريب ـ القاهرة.
٤٤)يوسف ميخائيل أسعد (٢٠٠١م): الشباب والتوتر النفسى ـ مكتبة غريب ـ القاهرة.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1) Beveridge, E.W. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, U.S.A, 2001.

2) Calvin, J: Instututes Of The Christian Religion Book 111, Translated gy Henry Emmanuel Kant, Critique de la raison Pratique, PU.F, 9 eme edition, 2002.
3) Carl, B.: freedom Sresponsibility in The Anerican way of life, Alfred A. Knoph and by university of Michigan, 1945.
4) Charles, E.R: freedom of Association, library of Congress, New York, 1962.
5) Eerdmans, WM: Eerdmans Publishing Beveridge, Company, Grand Rapids, Michigan, U.S.A, 1995.
6) Engle, S.A.; Education fot Democratic citizenship, 1997.
7) Manheim, K; freedom, Power , Demcratic Planning – London, 1951.
8) Street, H: freedom the individual and the law, Penguin books, Great Brifain 1972.
9) Westin, A, F.: Privacy and freedom, Athenum, Newyork, 1967.
10) Worten, S, N.: Freedom of Speech and Press, Hayden book company INC., Newyork, 1965.

ثالثًا: مواقع الإنترنت:

١) محمود الباز، الإنترنت، جوجل، ما هى الحرية.
http://albaz.maktoobblog.com/278.
٢) نهلة أحمد، التحقيقات الصحفية، جوجل، مفهوم الحرية بين الآباء والأبناء.
http://www.amanjordan. Org/a-news
٣) أبعاد الحرية فى الرؤية الإسلامية.
http://www.Cdhvap.net/text/bohoth/34.htm

٤) فى معنى الحرية.
http://www.rasid.com/artc.php?id=8192.
٥) تجسيد للحرية والحق الفكر السياسى لإعادة التفكير.
http://maaber.50megs.com/issuedecomber.4/perenialethics2htm.
٦) عماد حيدر ـ الحرية فى الإسلام.
http://anoar.maktoobblog.com
٧) الحرية فى الإسلام.
http://www.islamictinder.org/articles/articles/article.php?in=330&lang=arabic
٨) محمد صادق دياب ـ التعليم والحرية.
m.diyab@asharqalawsat.com
٩) تيسير الناشف/ الفكر وممارسة الحرية والقيود عليها.
www.google.com.
١٠) بحث عن الحرية ـ الحرية واهميتها فى حياة الإنسان.
http://www.cars2arab.com/vb/showthread.php?t52886pagelixzzl7xeehcac.
١١) الحرية الشخصية ـ صورا مشرفة للحرية فى الإسلام ـ أنواع الحرية.
www.a;jpirroal-org.
١٢) الحرية من المنظور السياسى. www.balagh.com
١٣) الحرية فى الإسلام ـ الحرية الدينية والتعصب ـ قوانين.
www.1.umn.cdu
١٤) آراء بعض العلماء عن الحرية. [muhtawa-org]
١٥) معنى الحرية. www.or.wikipedia.org
١٦) الحرية واحترام إرادة الإنسان. www.babgh.com
١٧) الحرية الاجتماعية. http://hgoussago.talkther.com

١٨) الحرية والتحرر. www.balagh.com
١٩) حرية التعبير فى الإسلام. http://eluatkaa.jeerah.com
٢٠) آراء فى الشريعة وفى الحرية. www.ar.wiripedia.org
٢١) ما هى الحرية.. كيف يعيش الإنسان حرًا؟
محمود الباز، ٢ يونيو ٢٠٠٩م. http://albaz.maktoobblog.com
٢٢) صيانة الحرية.. والقيود على الحرية.
http://muhtawa.org/index.php/%AD%D8%B1%D9%8A%D8%A9
٢٣) مفهوم الحرية فى الإسلام ـ فرانز روزنتال ٢٠٠٧م.
http://www.cdhrap.net/text/bohoth/34.htm
٢٤) مقال لعز الدين الخطابى عن الحرية وعلاقتها بالأخلاق.
www.eftinfo.com/forums/showthreads.php?
٢٥) اختتام المرحلة الأولى من مبادرة الحرية النفسية فى غزة (٢٠١٠م) نوفمبر.
www.ahewar.org/bedat/show.art-asp?
٢٦) صلاح الأردنى (٢٠٠٩م) مقالة عن الحرية الإنسانية.
www.emofree.com
٢٧) كتاب الحرية النفسية د/ محمود العبرى (٢٠١٠م).
www.aletrah.com/forum/showthread.php
٢٨) شبكة العترة ـ الحرية الاجتماعية والسياسية يناير ٢٠٠٤م.

الإنتاج العلمى للمؤلفة

أولاً: الدراسات والبحوث

١- تقبل الأبناء المتفوقين منهم والمتخلفين لاتجاهات آبائهم نحو تحصيلهم الدراسى وعلاقة ذلك بمستوى القلق، ١٩٧٩م ـ رسالة ماجستير كلية البنات/ جامعة عين شمس ـ تحت إشراف أ.د/ رمزية الغريب.

٢- "مراتب الطموح لدى الطالبة الجامعية وعلاقته بمفهوم الذات ومستوى الأداء" ١٩٨٤م ـ رسالة دكتوراه ـ كلية البنات/ جامعة عين شمس ـ تحت إشراف أ.د/ رمزية الغريب.

٣- عادات الاستذكار فى علاقته بالتفوق الدراسى ـ المؤتمر الرابع لعلم النفس فى مصر ٢٥-٢٨ يناير ١٩٨٨م ـ الجمعية المصرية للدراسات النفسية.

٤- "الانضباط لدى تلاميذ المدرسة الإعدادية وعلاقته بالمستوى الاجتماعى والثقافى ووجهة الضبط والاتجاهات الدراسية، ـ مجلة علم النفس ـ العدد السادس/ أبريل، مايو، يونيو ١٩٨٨م.

٥- العلاقة بين عادات الاستذكار ومهاراته وبعض العوامل الشخصية والاجتماعية لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية، كتاب (دراسات فى عادات الاستذكار ومهاراته) ـ دار الكتاب للطباعة والنشر ١٩٨٨م ـ مودع بدار الكتب المصرية.

٦- "عادات الاستذكار ومهاراته لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية فى علاقته ببعض العوامل الشخصية والاجتماعية. كتاب (دراسات فى عادات الاستذكار ومهاراته) ـ دار الكتاب للطباعة والنشر ١٩٨٨م ـ مودع بدار الكتب المصرية.

٧- ظاهرة العنف لدى بعض شرائح من المجتمع المصرى ـ دراسة استطلاعية (بالاشتراك مع د. سعيد محمد نصر) ـ الكتاب السنوى فى علم النفس ـ المجلد السادس ١٩٨٩م ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

٨- دراسة لتنمية عادات الاستذكار ومهاراته لدى بعض تلاميذ المدرسة الابتدائية، مجلة علم النفس ـ العدد الحادى عشر ـ يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٩م ـ القاهرة.

٩- أساليب المعاملة الوالدية المرتبطة بالتحصيل فى علاقتها بدافع الإنجاز والتحصيل الدراسى لدى شرائح اجتماعية ثقافية مختلفة من الجنسين بالمدرسة الابتدائية ـ المؤتمر الرابع للطفل المصرى ـ مركز دراسات الطفولة فى الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ أبريل ١٩٩١م ـ القاهرة.

١٠- دراسة نفسية تحليلية للمعلم المتميز بالمدرسة الثانوية، بحوث المؤتمر السابع لعلم النفس فى مصر ـ سبتمبر (١٩٩١م) ـ الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالاشتراك مع كلية التربية/ جامعة عين شمس ـ القاهرة.

١١- عدم الرضا عن بعض الجوانب الصحية والأسرية والدراسية لدى الطلاب المتفوقين بالمدرسة الثانوية ـ بحوث المؤتمر التاسع لعلم النفس فى مصر ـ ٢٧/ ٣١ يناير ١٩٩٣م ـ القاهرة.

١٢- رعاية الطلاب المتفوقين بالمدرسة الثانوية ـ بين الواقع والمأمول (دراسة استطلاعية) مجلة علم النفس ـ العدد الثامن والعشرون أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٩٣م ـ القاهرة.

١٣- بناء اختبار لقياس الميول الدراسية والترفيهية والاجتماعية والمهنية لطلاب وطالبات المرحلة الثانوية ـ مجلة المركز القومى للتقويم والامتحانات ١٩٩٥م ـ القاهرة.

١٤- ظاهرة غياب المعلمات السعوديات فى مراحل التعليم العام بمدينة الرياض فى ضوء بعض المتغيرات الشخصية والاجتماعية والمهنية (دراسة ميدانية) ـ المملكة العربية السعودية ـ الرئاسة العامة لتعليم البنات ـ الإدارة العامة للبحوث التربوية إدارة الدراسات ـ ١٩٩٣م ـ الرياض.

١٥- رياض الأطفال فى المملكة العربية السعودية بين الواقع والمأمول (دراسة تحليلية تقييمية) ـ المملكة العربية السعودية ـ الرئاسة العامة لتعليم البنات ـ الإدارة العامة للبحوث التربوية ـ إدارة الدراسات ١٩٩٤م ـ الرياض.

١٦- ظاهرة الغياب من المدرسة لدى طلبة الثانوية العامة وعلاقتها ببعض المتغيرات (بالاشتراك مع د. سعاد زكى) ـ المؤتمر الثامن فى الفترة من ٤- ٦ نوفمبر (٢٠٠١م) ـ مركز الإرشاد النفسى ـ جامعة عين شمس ـ القاهرة.

١٧- رعاية المسنين فى المملكة العربية السعودية من المنظور الشرعى (الواقع والمأمول) (بالاشتراك مع د. محمد عليثة الأحمدى وآخرون). مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ـ الإداره العامة لبرامج المنح ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، (الرياض).

ثانياً: الكتب المنشورة:

١- سيكولوجية الاتصال الإنسانى.. ومهاراته: ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٢- فن وأدب الحوار (بين الأصاله والمعاصرة): ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٣- سيكولوجية الحب والانتماء: ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٤- محاضرات فى سيكولوجية التعلم: ٢٠١٣م ـ ط ٣ ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٥- أدوات جمع البيانات فى البحوث النفسية والتربوية ـ ط٢ ـ ٢٠١٠م ـ ص ٢ ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٦- التفكير (اساسياته وأنواعه. تعليمة وتنميه مهاراته) ـ ٢٠١١م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٧- قراءات فى علم النفس المدرسى: ٢٠١٠م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٨- مناهج البحث العلمى ـ فى التربية وعلم النفس ومهاراته الأساسية ـ ٢٠٠٩م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

٩- سيكولوجية الفروق الفردية وقياسها: ٢٠٠٦م (طـ ٢) عالم الكتب ـ القاهرة.

١٠- التعلم التعاونى: (أسسه ـ استراتيجياته ـ تطبيقاته): ٢٠٠٥م عالم الكتب ـ القاهرة.

١١- الموهوبون (مشكلاتهم ـ اكتشافهم ـ رعايتهم): ١٩٩٣م ـ مودع بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

١٢- عادات الاستذكار ومهارته السليمة: ١٩٩٠م ـ مودع بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

ثالثا: سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع:

الإصدار الأول: التوافق الزواجى واستقرار الأسرة.. من منظور (إسلامى ـ نفسى ـ اجتماعى) ٢٠٠٥م عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثانى: مشكلة العناد عند الأطفال ـ ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثالث: مشكلة الخوف عند الأطفال ـ ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الرابع: مشكلة التأخر الدراسى فى المدرسة والجامعة: ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الخامس: عادات الاستذكار ومهاراته الدراسية السليمة: ٢٠١٢م ـ ط٢ ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السادس: مشكلة التبول اللاإرادى عند الأطفال: ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السابع: تحسين مفهوم الذات ـ تنمية الوعى بالذات. والنجاح فى شتى مجالات الحياة: ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب بالقاهرة.

الإصدار الثامن: كيف نربى أنفسنا والأبناء من أجل تنمية الإبداع: ٢٠٠٥م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار التاسع: كيفية مواجهة المشكلات الشخصية والأزمات ـ ٢٠٠٦م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار العاشر: أزمة منتصف العمر لدى المرأة والرجل.. بين اليأس والأمل ـ ٢٠٠٦ م ـ عالم الكتب القاهرة.

الإصدار الحادى عشر: مشكلتا مص الأصابع وقضم الأظافر (الأسباب والأضرار ـ الوقاية والعلاج) ـــ ٢٠٠٧م عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثانى عشر: كيفية تنظيم الوقت وشغل أوقات الفراغ ـ بين الواقع والواجب ـ ٢٠٠٧م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثالث عشر: الغضب "أسبابه ـ أضراره ـ الوقاية ـ العلاج" ـ ٢٠٠٧م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الرابع عشر: الأمراض النفسية والأمراض العقلية (بين الحقيقة والخيال) ٢٠٠٧م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الخامس عشر: مشكلة العنف والعدوان ـ (لدى الأطفال والشباب) ٢٠٠٧م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السادس عشر: مرحلة الشيخوخة وحياة المسنين .. بين الآمال والآلام ـ ٢٠٠٨م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السابع عشر: المشكلات العاطفية والجنسية لدى المراهقين والمراهقات ـ ٢٠٠٨م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثامن عشر: التدخين بين (الصحة والسلامة ـ والمرض والندامة) ٢٠٠٨م ـ عالم الكتب القاهرة.

الإصدار التاسع عشر: فن وأساليب تربية ومعاملة الأبناء (الأطفال والمراهقين) ٢٠٠٩م عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار العشرون: فى بيتنا كذاب.. ماذا نفعل؟ ٢٠٠٩م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الحادى والعشرون: فى بيتنا سارق... ماذا نفعل؟ ٢٠٠٩م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثانى والعشرون: المخدرات.. والإدمان (بين هلاك النفوس .. وخراب البيوت) ـ ٢٠١٠م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثالث والعشرون: السعادة.. والرضا (أمنية غالية .. صناعة راقية) ـ ٢٠١٠م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الرابع والعشرون: ضعاف العقول (بلاء ومحنة ـ أم ـ ابتلاء ومنحة) ـ ٢٠١٠م عالم الكتب القاهرة.

الإصدار الخامس والعشرون: الخرافات والسحر والشعوذة.. بين (السعادة والوفاق .. واليأس والشقاق) ٢٠١١م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السادس والعشرون: فنون الإتيكيت.. (وآداب السلوك والمعاملة الراقية) ٢٠١١م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار السابع والعشرون: العنوسة (ظاهرة لا يمكن إنكارها.. وقضية تستحق الاهتمام) ـ ٢٠١١م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثامن والعشرون: مشكلة الخجل الاجتماعى (لدى الصغار والمراهقين والكبار) ـ ٢٠١٢م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار التاسع والعشرون: الغيرة (بين التفوق والمنافسة.. والعداء والأنانية) ـ ٢٠١٢م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثلاثون: الصداقة الحقيقية (تحلو بها الحياة.. ونحقق بها التوازن النفسى) ـ ٢٠١٢م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الحادى والثلاثون: الطلاق (بين الإباحة والصبر ـ والخطر والغدر) ـ ٢٠١٢م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثانى والثلاثون: التفاؤل.. والأمل (من أجل حياة مشرقة.. ومستقبل أفضل) ـ ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الثالث والثلاثون: أبناؤنا الموهوبون (بين الرعاية.. والحماية) ـ ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الرابع والثلاثون: مشكلة النشاط الزائد وتشتت الانتباه لدى الأطفال ـ ٢٠١٣م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

الإصدار الخامس والثلاثون: الطفل الذاتوى (التوحدى) ـ ٢٠١٤م ـ عالم الكتب ـ القاهرة.

هذا الكتاب

يكثر ذكر الحرية فى هذا العصر أكثر من أى عصر مضى، والكل يتحدث عن الحرية منظورًا إليها من حيث اهتمامات كل متحدث ومصالحه.

فنجد من يتحدث عن الحرية السياسية وعن حرية الضمير وحرية الشعوب وحرية المرأة وحرية العقيدة، والحرية الجامعية، والحرية الشخصية،...،.. إلى آخر أنواع وألوان الحريات، ومنذ القدم والإنسان يحارب ويناضل ويدفع الغالى والنفيس فى سبيل الحرية، وفى أحيان كثيرة قد يدفع حياته ثمنًا لها.... وأصبحت الحرية هى هم كل الشعوب بمختلف أجناسهم وديانـاتهم وقامت المسيرات والثورات والحروب، وسالت الدماء فى كل مكان من أجل الحرية، وأصبحت كلمة الحرية تعنى الحياة والأمل والسعادة.

والحرية ليست علم يدرس أو مهارة تكتسب إنها نزعة وحاجة إنسانية وهى كالطعام والشراب.

فأنت لا بد أن تكون حرًا لكى تعيش إنسانًا لا حيوانًا تقاد حيث يشاء الآخرون.. وكما أنك تبحث عن الطعام والشراب فالحرية كذلك يجب أن تبحث عنها وتسعى لتحصيلها.

والحرية ليست حكرًا على فئة معينة، بل هى لكافة الناس، الكل من حقه أن يعيش حرًا؛ لقد ولدنا أحرارًا فلما نستعبد بعضنا بعض؟

ولأهمية الموضوع أقدم هذا الإصدار من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع - نتعرض فيها لمفهوم الحرية، والقيود عليها، أهم ضوابطها، الحرية الحقيقية، الحرية والوجود الإنسانى، أنواع الحريات بشىء من التفصيل، الحرية والمرأة، الحرية بين الآباء والأبناء، الحرية ومقومات السعادة داخل الأسرة، كيف يعيش الإنسان حرًا، الإسلام والحرية، أقوال ورؤى حول الحرية.... إلى جانب بعض الموضوعات الأخرى المرتبطة بالحرية.. من أجل تنمية وعى الشباب والآباء والقادة والجميع بهذا الموضوع الهام.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى العرض.. وأن ينتفع به الجميع المنفعة المرجوة، وأن يساعد هذا الإصدار فى أن نرتضى بأنفسنا ونشعر بحريتنا فى جوانب حياتنا ونحقق أهدافنا فى الحياة.

أ.د. سناء محمد سليمان

٢٠١٤م